من تراث

الإمام أبي حفص عمر السهروردي

الكتاب السادس

جذب القلوب

إلى مواصلة المحبوب

مقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يدورُ هٰذا الكتابُ حولَ جُملةٍ مِنَ الأخلاقِ المَرضيَّةِ الَّتي يَهتدي بها السَّالكُ أثناءَ سَيرِهِ إلى اللهِ تعالىٰ فلا يَضِلُّ ، ويَنجُو بالتَّحلِّي بها مِنَ المَهالكِ والشُّرورِ فلا يَشقىٰ .

ذَكَرَ السُّهروردِيُّ فيهِ مِنَ الأخلاقِ والفضائلِ أُمَّاتِها وأصولَها ، فأَوصَلَ ما اختارَهُ إلىٰ ثلاثينَ خَصلةً ، وجعَلَ كلَّ خَصلةٍ وخُلُقٍ منها في بابٍ مُستقلٍّ ؛ وهي علىٰ سبيلِ الحصرِ : العلمُ ، والإيمانُ ، والإسلامُ ، والإحسانُ ، والذِّكرُ ، والشُّكرُ ، والاستقامةُ ، والتَّقوىٰ ، والصِّدقُ ، واليقينُ ، والحِلمُ ، وحُسنُ الخُلُقِ ، والكذبُ ، والصَّمتُ ، وحفظُ اللِّسانِ ، والقلبُ ، والفِكرُ ، والفِراسةُ ، والمعرفةُ ، والموعظةُ ، والاعتبارُ ، والمحبَّةُ ، والشَّوقُ ، والعِشقُ ، والقُربُ ، والمواصلةُ ، والتَّوكُّلُ ، والفقرُ ، واللِّباسُ ، وخَتَمَ ببابٍ في فضلِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ومُعجزاتِهِ .

ومنهجُ السُّهروردِيِّ في الكتابِ يَتلخَّصُ في أنَّهُ أدارَ مادَّتَهُ علىٰ ثلاثينَ باباً ، في كلِّ بابٍ خَصلةٌ واحدةٌ ، ويبدأُ بترجمةِ البابِ بذكرِ الخَصلةِ الَّتي سيتناولُها ، ثمَّ يذكرُ تحتَ البابِ تعريفَ الخَصلةِ غالباً بعباراتٍ مُحرَّرةٍ ، ثمَّ يذكرُ أدلَّتَها مِنْ نصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ مُبيِّناً وجهَ الدَّلالةِ مِنَ الدَّليلِ ، ثمَّ يَشرَحُ الأدلَّةَ ويَكشِفُ ما تَضمَّنَتْهُ مِنَ المعاني باختصارٍ ، مُبيِّناً فائدةَ الخَصلةِ المذكورةِ للسَّالكِ ، وأَثرَها في وصلِ القلوبِ باللهِ تعالىٰ .

ومِنْ مَيزاتِ الكتابِ الملحوظةِ بوضوحٍ : احتفاءُ السُّهروردِيِّ بالأدلَّةِ على الخصالِ ، وشرحِها وبيانِ وَجهِ الدَّلالةِ منها .

ومنها : كثرةُ نقلِه عن العارفينَ وأهلِ التَّصوُّفِ ؛ فتارَةً يُصرِّحُ بِاسمِ مَن نَقَلَ عنهُ ؛ كالجُنيدِ ، وسهلِ التُّستَرِيِّ ، وإبراهيمَ بنِ أَدهَمَ ، وغيرِهِم ، وتارَةً لا يُصرِّحُ ، ولكن يقولُ : (وسُئِلَ بعضُ أهلِ المعرفةِ) ، وتارَةً يقولُ : (قال أهلُ التَّحقيقِ مِنَ العلماءِ) ، وتارَةً يقولُ : (قالَ العلماءُ المحقِّقون)[1]

ويحتملُ أن تُنسبَ هٰذهِ الرسالةُ إلى ابنِهِ محمدٍ أبي جعفرٍ (ت ٦٥٥ هـ) نظراً لورودِ حكايةٍ عن أبي الحجاجِ الأقصريِّ (ت ٦٤٢ هـ) ، وقد ترحَّمَ صاحبُ الرسالةِ عليهِ عندَ ذكرِ اسمِهِ[2] ، ولأنَّ عمرَ صاحبَنا تُوفِّيَ سنةَ (٦٣٢ هـ) فإنَّ هٰذهِ الحكايةَ ـ ما لم تكنْ مقحمةً على الرسالةِ ـ قد تنفي نسبتَها إليهِ .

---

(١) ينظر « أبو حفص عمر السهروردي ؛ حياته وتصوفه » (ص ٧٥) .

(٢) انظر (ص ٥٤٧) ، والغالب في صيغ الترحُّم أنها من النسَّاخ ، وبهٰذا يسقط في نظري هٰذا الاحتمال .

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

هٰذا الكتابُ ضِمنَ مجموعةٍ برقم (٢١١٨٩) بمكتبةِ جامعةِ القاهرةِ ، وهو رقم (٦) فيها ، وطُبعَ بمطبعةِ البهاءِ ، دار الحكومةِ في حلبَ الشَّهباءِ سنةَ (١٣٢٨ هـ) .

ورمزتُ لها بـ : (أ) .

وأخرىٰ : مخطوطةٌ بدارِ الكتُبِ المصريَّةِ بالقاهرةِ بعنوانِ : « رسالةُ الشَّيخِ شهابِ الدِّينِ » برقم (١٠٦٤) تصوُّف طلعت .

رمزتُ لها بـ : (ب) .

وثالثةٌ : مخطوطةٌ بمكتبةِ السُّليمانيَّةِ بإستانبول ، حاجي محمود أفندي ، رقم (٣١٢٢) بعنوان : « رسالةُ جذبِ القلوبِ إلىٰ طريقِ المحبوبِ » .

رمزتُ لها بـ : (ج) .

وعِلاوةً علىٰ ما ذكرتُ يوجدُ منها نسختان ؛ وهما كما يلي :

الأُولى : مكتبة الأوقاف بحلب (ضِمنَ مكتبةِ الأسدِ) برقم (١٣٢٨) بسوريا .

الثَّانية : دارُ الكتبِ الوطنيَّةِ في أبو ظبي برقم (٦/آ ٥٩٣/٤٦٣ مج) بالإماراتِ العربيَّةِ المتَّحدةِ .

نماذج من صور المطبوع والمخطوط

كتاب

﴿ جذب القلوب الى مواصلة المحبوب ﴾

﴿ تأليف قطب العارفين السيد ﴾

﴿ الشيخ شهاب الدين ﴾

﴿ السهروردى نفعنا ﴾

﴿ الله بعلومه ﴾

﴿ آمين ﴾

﴿ * ﴾

*

*

طبع
بمطبعة البهاء تجاه دار الحكومة * فى حلب الشهباء
سنة ١٣٢٨ هجرية

مطبعة البهاء حلب (أ)

عليه السلام وأمر امتك ان يؤمنوا بمحمد ايضاً فوعزتي وجلالي لولا محمد لما خلقت آدم وذريته ولولا محمد لما خلقت الجنة والنار والسماء والارض والعرش والكرسي وجميع مخلوقاتي فعند ذلك قال عيسى عليه السلام يا بني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التورية ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمهُ احمد (١٣٠) وأما معجزاته فمنها انه ولد مختونا وانه لم يرله بول ولا غائط وانه لم يقع له ظل على الارض وكان يرى ما وراءه كما يرى ما قدامه وكان يرى فى الظلام كما يرى فى النور وكان اذا مشى على الرمل اوعلى التراب لا يرى له اثر وكان اذا مشى على الصخور غاصت قدماه فيها وبقى لها علامة وما نزل عليه ذباب ولا قمل ولا شئ من الحشرات وانه لم يحتلم في عمره قط وانه كان اذا عزم الى بيت اومكان يسبقه نوره الى ذلك البيت والى ذلك المكان قبل مجيئه وكانوا يعرفون مجئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجئ النور تم * الكتاب بعون ﴿ الله تعالى وتوفيقه ﴾

*

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١٣	٧	يهوى الى البر والبر يهوى	يهدي الى البر والبر يهدى

***

مطبعة البهاء حلب (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرفنا في نعمه وعرفنا من مجده الكامل وكرمه

وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث لبيان حرامه وحلاله

وعلى آله وأصحابه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين

وبعد فهذا مختصر مشتمل على ثلاثين بابا يهتدي به السالك

ويحوز به من المهالك وهو جذاب القلوب إلى طريق المحبوب

وموصل إلى المطلوب ونور قلوب العاشقين والمخلصين

نسخة دار الكتب المصرية (ب)

عَلَى الرَّمْلِ وَعَلَى التُّرَابِ لَا يُرَى لَهُ أَثَرٌ ۞ وَالسَّابِعَةُ كَانَ
إِذَا مَشَى عَلَى الصُّخُورِ غَاصَتْ قَدَمَاهُ فِيهَا وَبَقِيَ لَهُمَا عَلَامَةٌ ۞
وَالثَّامِنَةُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ ذُبَابٌ وَلَا قُمَّلٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْحَشَرَاتِ ۞
وَالتَّاسِعَةُ أَنَّهُ لَمْ يَحْتَلِمْ فِي عُمُرِهِ قَطُّ ۞ وَالْعَاشِرَةُ
أَنَّهُ كَانَ إِذَا عَزَمَ إِلَى بَيْتٍ أَوْ مَكَانٍ كَانَ ۞
نَسُوقُهُ نُورٌ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ وَإِلَى ذَلِكَ ۞
الْمَكَانِ قَبْلَ مَجِيئِهِ وَكَانُوا يَعْرِفُونَ ۞
مَجِيءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ۞
وَسَلَّمَ مِنْ مَجِيءِ النُّورِ ۞
تَمَّتْ بِعَوْنِ اللَّهِ ۞
الْمَلِكِ الْمَنَّانِ ۞

نسخة دار الكتب المصرية (ب)

تصوف
عروس
II

رسالة عذاب القلوب الى طائفة المحبوب

للشيخ شهاب الدين السهروردي

ترجمة رسالة شيخ سعاد الدين الحموي في الدوائر الصوفية

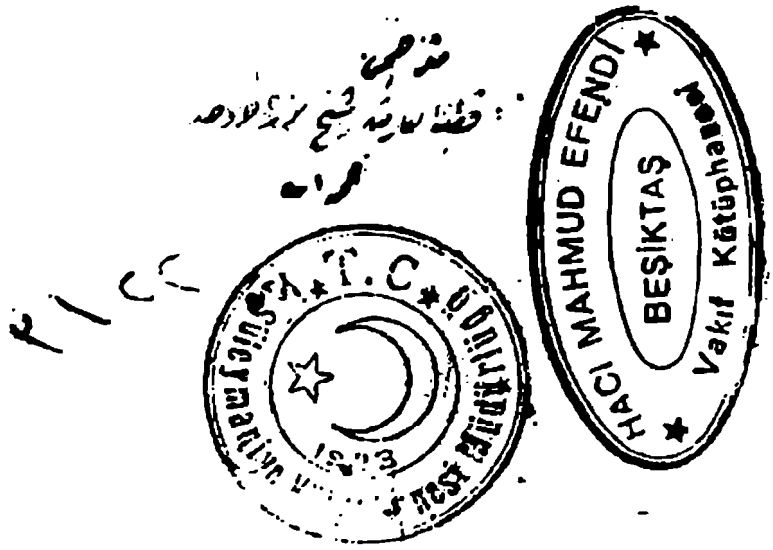

نسخة المكتبة السليمانية تركيا (ج)

هذا رسالة شيخ شهاب الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرفنا في نعمه وعرفنا

في مجد الكامل وكرمه وصلى الله على سيدنا

محمد المبعوث لبيان حرامه وحلاله و

اصحابه الطيبين الطاهرين صلوات الله

عليهم اجمعين وبعد فهذا مختصر مشتمل

على ثلاثين بابا يهتدي به السالك وينجو به

من المهالك وهو جذاب القلوب الى

طريق المحبوب وموصل الى المطلوب ونور

القلوب

نسخة المكتبة السليمانية تركيا (ج)

جَذْبُ القُلُوبِ
إِلَى مُوَاصَلَةِ المَحْبُوبِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الَّذي صَرَّفَنا في نِعَمِهِ ، وعرَّفَنا مِنْ مَجدِهِ الكاملِ وكَرَمِهِ ، وصلَّى اللهُ علىٰ سَيِّدِنا محمَّدٍ المبعوثِ لبَيانِ حَرامِهِ وحَلالِهِ ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، صلواتُ اللهِ عليهِم أجمعينَ .

وبعد :

فهٰذا مختَصَرٌ مُشتَمِلٌ علىٰ ثَلاثِينَ باباً ، يَهتَدِي بهِ السَّالِكُ ، ويَنجُو بهِ مِنَ المهالِكِ ، وهو جَذَّابُ القلوبِ إلىٰ طريقِ المحبوبِ ، ومُوصِّلٌ إلى المطلوبِ ، ومُنوِّرُ قُلوبِ العاشِقينَ والمخلِصِينَ .

البابُ الأوَّلُ : في العِلمِ .

البابُ الثَّاني : في الإيمانِ .

البابُ الثَّالثُ : في الإسلامِ .

البابُ الرَّابعُ : في الإحسانِ .

البابُ الخامسُ : في الذِّكرِ .

البابُ السَّادِسُ : في الشُّكرِ .

البابُ السَّابعُ : في الاستقامةِ .

البابُ الثَّامِنُ : في التَّقوىٰ .

البابُ التَّاسِعُ : في الصِّدقِ .

البابُ العاشِرُ : في اليقينِ .

البابُ الحادِيَ عشَرَ : في الحِلمِ .

البابُ الثَّانيَ عشَرَ : في حُسنِ الخُلُقِ .

البابُ الثَّالِثَ عشَرَ : في الكَذِبِ .

البابُ الرَّابعَ عشَرَ : في الصَّمتِ .

البابُ الخامِسَ عشَرَ : في حِفظِ اللِّسانِ .

البابُ السَّادِسَ عشَرَ : في القلبِ .

البابُ السَّابعَ عشَرَ : في الفِكرِ .

البابُ الثَّامِنَ عشَرَ : في الفِراسَةِ .

البابُ التَّاسعَ عشَرَ : في المعرِفةِ .

البابُ العِشرونَ : في الموعِظَةِ .

البابُ الحادِي والعِشرونَ : في الِاعتبارِ .

البابُ الثَّاني والعِشرونَ : في المحبَّةِ .

البابُ الثَّالِثُ والعِشرونَ : في الشَّوقِ .

البابُ الرَّابعُ والعِشرونَ : في العِشقِ .

البابُ الخامِسُ والعِشرونَ : في القُرْبِ .

البابُ السَّادِسُ والعِشرونَ : في المواصَلَةِ .

البابُ السَّابعُ والعِشرونَ : في التَّوكُّلِ .

البابُ الثَّامِنُ والعِشرونَ : في الفقرِ .

البابُ التَّاسعُ والعِشرونَ : في اللِّباسِ .

البابُ الثَّلاثونَ : في فَضلِ النَّبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ومُعجِزاتِهِ .

الباب الأوّل

في فضل العلم

العِلمُ : إدراكُ حقائقِ الأشياءِ مَقُولاً ومَسمُوعاً ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] ، وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[2]

قيلَ في التَّفسيرِ : ما بينَ الدَّرَجَتَينِ مَسِيرةُ سَبعِينَ سَنةً[3] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خَيْرُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ مَعَ ٱلْعِلْمِ ، وَشَرُّ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ مَعَ ٱلْجَهْلِ »[4]

فالعِلمُ نورٌ يُفرِّقُ بينَ الإلهامِ والوَسوسَةِ ، ويُسمَّىٰ : حِكمَةً .

والعِلمُ فوقَ العَقلِ ؛ لأنَّ العَقلَ آلةُ العِلمِ وطَريقُهُ ، ولأنَّ العالِمَ لا يكونُ عالِماً إلَّا وهو عاقِلٌ ، والعاقِلُ قدْ يكونُ عاقِلاً بغَيرِ عِلمٍ .

والعقلُ : جَوهرٌ مُضِيءٌ ، خَلَقَهُ اللهُ تعالىٰ في الدِّماغِ ، وجعلَ نُورَهُ في القلبِ ؛ يُدرَكُ بهِ الغَائِباتُ بالوسائِطِ ، والمحسُوساتُ بالمشاهَدةِ[5]

---

(١) سورة الزمر : (٩) .

(٢) سورة المجادلة : (١١) .

(٣) أورده ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١/٦٥) ، فقال : (من حديث ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين العالم والعابد مئة درجة ، بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة) .

(٤) أخرجه الحرمي في « الفوائد العوالي المنتقاة » (٨) من حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مطوّلاً .

(٥) أوجزنا الحديثَ عن مسألةِ محلِّ العقلِ في « الفُتوحاتِ » ، وخالفنا المُصنِّفَ فيما ذهبَ إليه ، فانظره ثَمَّ لتتمَّ المعرفةُ بمَذهبِ السُّهرَورديِّ في المسألةِ وتكملَ الفائدةُ .

قالَ حَكِيمُ بنُ عبدِ اللهِ : (زِينَةُ الرَّجُلِ الإسلامُ ، وزِينَةُ الإسلامِ العَقلُ ، وزِينَةُ العَقلِ العِلمُ ، وزِينَةُ العِلمِ العَمَلُ ، وزِينَةُ العَملِ الإخلاصُ ، وزِينَةُ الإخلاصِ التَّقوَىٰ ، وزِينَةُ التَّقوَى الإيمانُ) .

فإذا تحقَّقَ الرَّجُلُ بالعِلمِ والعملِ . . فتَحَ اللهُ عليهِ بابَ التَّوحيدِ ، واستَغرَقَ في الأنوارِ ، فإذا ضَاءَتِ الأنوارُ علىٰ جَوارحِهِ . . تكونُ كلُّ جارحَةٍ منهُ منوَّرةً بنُورٍ مِن أنوارِ العِلمِ والعملِ ، فحِينَئذٍ يَدُلُّ ذٰلكَ علىٰ صَفاءِ التَّوحيدِ ؛ فيَسكُنُ إليهِ التَّوحِيدُ ، ويَنسَىٰ ما دُونَه .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْعِلْمُ حَيَاةُ ٱلْقَلْبِ مِنَ ٱلْعَمَىٰ ، وَنُورُ ٱلْأَبْصَارِ مِنَ ٱلظُّلَمِ ، وَقُوَّةُ ٱلْأَبْدَانِ مِنَ ٱلضَّعْفِ »[1] .

فالتَّفكُّرُ في العِلمِ يُعادَلُ بالصِّيامِ ، ومُدارَستُهُ تُعادَلُ بالقِيامِ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سَأَلْتُ أَخِي جَبْرَائِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَنِ ٱلْأَعْمَالِ ؛ فَقُلْتُ : أَيُّ ٱلْأَعْمَالِ أَفْضَلُ لِأُمَّتِي ؟ قَالَ : ٱلْعِلْمُ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : ٱلنَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ ٱلْعَالِمِ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : زِيَارَةُ ٱلْعَالِمِ »[2]

قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : « مَنْ دَرَسَ ٱلْعِلْمَ لِلّٰهِ ، وَأَرَادَ بِهِ صَلَاحَ نَفْسِهِ وَصَلَاحَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يُرِدْ بِهِ غَرَضاً مِنَ ٱلدُّنْيَا . . فَأَنَا كَفِيلُهُ بِٱلْجَنَّةِ »[3] .

قالَ العلماءُ المحقِّقونَ : لا يَصِحُّ العلمُ النَّافعُ إلَّا بالتَّقوىٰ ، ولا تَصِحُّ الطَّاعةُ إلَّا بالإخلاصِ ، ولا يَصِحُّ الفقرُ إلَّا بالقناعةِ ، ولا يَصِحُّ الغِنىٰ إلَّا بالسَّخاءِ ،

---

(١) أخرجه أبو نُعيم في « حلية الأولياء » (٢٣٨/١) ، وابن بشران في « الأمالي » (٩٩٩) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٠٢) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٢) لم أقف عليه مُسنداً ، وأورده الرازي في « مفاتيح الغيب » (٤٠٩/٢) .

(٣) غريب بهٰذا اللفظ ، وفي معناه ما أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٨٥/١) ، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعلَّم علماً مما يُبتغىٰ به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا . . لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة » .

ولا تَصِحُّ الإمارةُ إلَّا بالعدلِ ، ولا تَصِحُّ التَّوبةُ إلَّا بالنَّدامةِ ، ولا يَصِحُّ البكاءُ إلَّا بالنَّصيحَةِ .

وقالَ النَّبيُّ صلواتُ اللهِ عليه وسلَامُه : « ٱلْعِلْمُ بِلَا عَمَلٍ وَبَالٌ ، وَٱلْعَمَلُ بِلَا عِلْمٍ مُحَالٌ »[1]

فالعِلمُ بِلا عملٍ كالغَيمِ بِلا مَطرٍ ، وكالشَّجرِ بِلا ثَمَرٍ .

والعلمُ النَّافعُ مَعرفةُ اللهِ تعالىٰ بِلا كيفٍ ، ثُمَّ معرفةُ الأحكامِ الشَّرعيَّةِ ممَّا لا بدَّ منهُ ؛ فالمعرفةُ الإلٰهيَّةُ تُوجِبُ مُشاهدَةَ نورِ الجلالِ والجمالِ بِلا رَيبٍ .

ثُمَّ العلمُ قدْ يكونُ كَشفِيّاً وكَسبِيّاً ؛ فمَنْ أرادَ العلمَ الكشفِيَّ . . فليَتقِ اللهَ تعالىٰ في السِّرِّ والعلانيةِ ؛ قال اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2] .

---

(١) لم أقف عليه مُسنداً ، وأورده السمرقندي في « بستان العارفين » (ص ٣١٣) ، بنحوه ، غير معزوٍ لقائل .

(٢) سورة البقرة : (٢٨٢) .

الباب الثاني

في الإيمان

الإيمانُ : إقرارٌ باللِّسانِ ، وتصديقٌ بالجَنانِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[1] ، وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾[2] .

فالإيمانُ تصديقٌ باللهِ ، مع إثباتِ التَّوحيدِ لهُ تعالىٰ ، وتصديقٌ بالملائكةِ بالتَّعظيمِ لهُم ، وتصديقٌ بِرُسُلِ اللهِ تعالىٰ بحُسنِ المتابعَةِ لهُم ، وتصديقٌ بكُتُبِ اللهِ تعالىٰ مِنْ حيثُ إنَّها نَزلَتْ مِنْ عندِ اللهِ تعالىٰ ، وتصديقُ ما حلَّلَ اللهُ تعالىٰ وحَرَّمَ فيها ، والدَّوامُ والثَّباتُ علىٰ هٰذا الاِعتقادِ إلى الممات .

وقيلَ : الإيمانُ أربعةُ أقسامٍ :

فعند أبي حنيفةَ رحمةُ اللهِ عليهِ ، ورضيَ اللهُ عنهُ : إقرارٌ باللِّسانِ ، وتصديقٌ بالجَنانِ[3] .

وعندَ الشَّافعيِّ رحمةُ اللهِ عليهِ : إقرارٌ باللِّسانِ ، وتصديقٌ بالجَنانِ ، وعملٌ بالأركانِ[4] .

---

(١) سورة الحديد : (٧) .

(٢) سورة الصف : (١٠ ـ ١١) .

(٣) انظر « عقيدة الطحاوي » (ص ٢١) ، وهي علىٰ مذهب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه .

(٤) انظر « اعتقاد الشافعي » للهكاري (ص ١٥) ، وفيه : (وأشهد أن الإيمان قول وعمل ومعرفة بالقلب) .

وعندَ مالكٍ ـ رحمةُ اللهِ عليهِ ـ : إقرارٌ باللِّسانِ ، وتصديقٌ بالجَنانِ ، وعَمَلٌ بالأركانِ ، واتِّباعٌ بالإحسانِ[1]

فمَنْ تَرَكَ الإقرارَ . . فهو كافرٌ ، ومَنْ تَرَكَ التَّصديقَ . . فهو منافقٌ ، ومَنْ تَرَكَ العملَ . . فهو فاسقٌ ، ومَنْ تَرَكَ الِاتِّباعَ . . فهو مُبتدِعٌ[2] .

ورُوِيَ عن حُذَيفةَ بنِ اليمانِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : ماتَ رجلٌ مِنْ قومِ موسىٰ عليهِ السَّلامُ ، فإذا كانَ يومُ القيامةِ . . يقولُ اللهُ تعالىٰ لملائكتِهِ : « يَا مَلَائِكَتِي ؛ أَنْظُرُوا : هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي هَـٰذَا حَسَنَةً يَفُوزُ بِهَا ٱلْيَوْمَ ؟ » ، فيقولونَ : يا ربَّنا ؛ ما نَجِدُ لهُ ما يفوزُ بهِ اليومَ سِوىٰ أنَّ النقشَ تَنَقَّشَ بهِ ؛ كانَ خاتمُهُ شهادةَ أنْ لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : « أَدْخِلُوا عَبْدِي ٱلْجَنَّةَ ؛ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ بِتِلْكَ ٱلشَّهَادَةِ »[3]

---

(١) روي عنه من طرقٍ : أن الإيمان قول وعمل . انظر « حلية الأولياء » لأبي نعيم (٣٢٧/٦) ، و« الانتقاء » لابن عبد البر (ص ٣٣) .

(٢) قال سفيان : (كَانَ ٱلْفُقَهَاءُ يَقُولُونَ : لَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةٍ لِلسُّنَّةِ) . انظر « الإبانة » لابن بطة (١٠٩٨) .

(٣) لم أقف عليه مُسنداً في شيء من دواوين السنة المعتمدة ، وأورده من متأخري المفسرين إسماعيل حقي في « روح البيان » (٣٠٩/٦) ، ولم يعزه لمصدرٍ ، وفيه : (إنَّا لا نجد سِوىٰ أنَّ نَقْشَ خاتمه : لا إله إلا الله !) .

وحديث البطاقة الشهير يشهد لمعنىٰ ما أورده المصنف ؛ أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وغيره ، وحَسَّنه ، من حديث سيدنا عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً ؛ كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلَىٰ ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ ، فَتخرجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنَكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ مَا هَـٰذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَـٰذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟! فَقَالَ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ، قَالَ : فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ » .

الباب الثالث

في الإسلام

الإسلامُ : متابعةُ الشَّريعةِ ، والإعراضُ عنِ الطَّبيعةِ ، والدَّوامُ على ما أتَى بهِ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ مِن جميعِ ما أمرَ اللهُ بهِ ونَهى عنهُ .

وهو الدِّينُ الخالصُ الَّذي يَجبُ على النَّاسِ أخذُهُ والدِّيانةُ بهِ ، لقولِهِ تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [1] ، قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [2] .

وعن عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ كَانَ مُسْلِماً ، وَبَدَنُهُ فِي عَافِيَةٍ . . فَقَدِ ٱجْتَمَعَ فِيه سَيِّدُ نَعِيمِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ » [3] .

وعن يحيى بنِ معاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَكْتُوبٌ عَلَىٰ بَابِ ٱلْجَنَّةِ : بُنِيَ ٱلْإِسْلَامُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ دَعَائِمَ : ٱلتَّوَاضُعُ عِنْدَ ٱلدَّوْلَةِ [4] ، وَٱلْعَفْوُ عِنْدَ ٱلْقُدْرَةِ ، وَٱلنَّصِيحَةُ عِنْدَ ٱلْعَدَاوَةِ ، وَٱلْعَطِيَّةُ بِغَيْرِ ٱلْمَسْأَلَةِ » [5] .

---

(١) سورة الحشر : (٧) .

(٢) سورة آل عمران : (٨٥) .

(٣) أورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٤٤٥) من قول بكر بن عبد الله المزني .

(٤) الدولة هنا : انقلاب الزمان من حال البؤس والضرّ إلى حال الغبطة والسرور . انظر « تاج العروس » (دول) .

(٥) لم أقف عليه من حديث يحيى بن معاذ مرفوعاً ، وإنما أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٢٦/١٨) ، بإسناده إلى الجُنيد قال : (يا بني ؛ إن التصوف على أربع : . . .) فذكره بلفظه ، مع تقديم وتأخير .

وأخرجه الضياء المقدسي في « المنتقى من مسموعاته بمرو » (٤٤٦) وابن عساكر في « معجم الشيوخ » (٩٦٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بني الإسلام على خمسٍ : التواضع عند الدولة ، والعفو عند المقدرة ، والسخاوة مع القلة ، والغبطة بغير مِنّة ، والنصيحة للعامة » .

الباب الرابع

في الإحسان

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[1] ؛ أيْ : هلْ جزاءُ العملِ الصَّالحِ بعدَ التَّوحيدِ ـ وهو قولُ : لا إلٰهَ إلَّا اللهُ ـ إلَّا الجنَّةُ .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْإِحْسَانُ : أَنْ تَعْبُدَ ٱللهَ تَعَالَىٰ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ . . فَإِنَّهُ يَرَاكَ »[2]

وهٰذا إشارةٌ إلى الخَشيةِ والخُشوعِ في العبادةِ ؛ الَّتي هي سَببٌ للفلاحِ مِنَ العذابِ في الآخرةِ ، وسببُ الدُّخولِ إلى الجنَّةِ ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[3] .

والخشوعُ : خوفُ القلبِ ، وسكونُ الجوارحِ في طاعةِ اللهِ تعالىٰ .

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أنَّهُ رأىٰ رَجُلاً يَعبَثُ بِلِحيتِهِ في الصَّلاةِ فقالَ : « لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ . . لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ »[4] ؛ فالمرادُ مِنَ الخُشوعِ : حُسنُ الأدبِ معَ اللهِ تعالىٰ في الأفعالِ والأقوالِ .

ورُوِيَ أنَّ عابداً عبدَ اللهَ تعالىٰ أربعينَ عاماً ، فما نامَ مُضطَجِعاً قطُّ في تلك المدَّةِ .

---

(١) سورة الرحمٰن : (٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٧) ومسلم (٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه مسلم أيضاً (٨) من حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) سورة المؤمنون : (١ ـ ٢) .

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٨٢٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

فقيلَ لهُ في ذٰلكَ ، قالَ : إنّي أستَحيي مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ أمُدَّ رِجلَيَّ وأنْ أضطَجِعَ .

وقيلَ : الإحسانُ : هو الإحسانُ إلىٰ خلقِ اللهِ تعالىٰ ، والشَّفَقَةُ عليهم بِلا مِنَّةٍ .

الباب الخامس

في ذكر الله تعالى

الذِّكرُ : ثَباتُ الفؤادِ بصدقِ الإعتقادِ ؛ وهو ذِكرُ الحيِّ الَّذي لا يموتُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[1]

وقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَفْضَلُ ٱلذِّكْرِ : لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ »[2] .

وقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَفضَلُ كَلِمَةٍ قَالَها ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ »[3] .

وقيلَ : أفضلُ الأعمالِ بعدَ أداءِ الفرائضِ : ذِكرُ اللهِ تعالىٰ ؛ لأنَّ كلَّ عَمَلٍ أَمَرَهُ اللهُ تعالىٰ لعبادِهِ مُقدَّراً مُؤقَّتاً إلَّا ذِكرَ اللهِ تعالىٰ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ ، وقال اللهُ تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[4] ؛ أيْ : يذكرونَ اللهَ تعالىٰ دائماً في كلِّ وقتٍ وعلىٰ كلِّ حالٍ ، لا يَخلُونَ عن ذِكرِ اللهِ تعالىٰ ، فذِكرُ اللهِ تعالىٰ يدلُّ علىٰ مَحبَّةِ اللهِ تعالىٰ ؛ كما قيلَ : مَنْ أحبَّ شيئاً . . أكثرَ مِنْ ذكرِهِ[5] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيْسَ لِقَوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ جَزَاءٌ إِلَّا ٱلنَّظَرُ إِلَىٰ

---

(١) سورة الأحزاب : (٤١ ـ ٤٢) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣) ، وابن ماجه (٣٨٠٠) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، بلفظ : « خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير » .

(٤) سورة آل عمران : (١٩١) .

(٥) هو مَثَلٌ ذكره الميداني في « مجمع الأمثال » (٢/٣٢٧) .

وَجْهِ ٱللهِ تَعَالَىٰ »[1] ؛ لأنَّ الدُّخولَ إلى الجنَّةِ جزاءُ الأعمالِ الصَّالحةِ المحصورةِ ، وجزاءُ ذِكرِ اللهِ كثيراً هو رُؤيةُ اللهِ تعالىٰ .

وقيلَ : دخولُ الجنَّةِ بفضلِ اللهِ تعالىٰ[2] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا مِنْ سَاعَةٍ تَأْتِي عَلَى ٱبْنِ آدَمَ لَا يَذْكُرُ ٱللهَ تَعَالَىٰ فِيهَا . . إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَإِنْ دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ »[3] .

وقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[4]

وقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ ٱللهِ تَعَالَىٰ . . بَرِئَ مِنَ ٱلنِّفَاقِ »[5] .

---

(١) لم أقف عليه ، وقد أخرج الحارث بن أبي أسامة في « المسند » (٦٢٢) كما في « بغية الباحث » من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مطوَّلاً ، وفيه : « ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قَالَ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ الَّذِينَ قَالُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ : الْجَنَّةُ ، وَالزِّيَادَةُ : النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ الله عَزَّ وَجَلَّ » .

(٢) ولا خلاف بين القولين على التحقيق ؛ فقد قال الإمام الغزالي : (معنىٰ كون دخول الجنة بفضل الله : أن يوفقك الله لصالح العمل بفضله ؛ لتكون صالحاً ومتهيئاً لرحمته وفضله ، فيدخلك الجنة) . انظر « مجموعة رسائل الغزالي » (١٦٨/١) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١٨٧/١) ، ويشهد لمعناه ما أخرجه أبو داوود (٤٨٥٥) من حديث سيدنا أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ : « مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومونَ مِنْ مجلسٍ لا يذكرون اللهَ فيهِ . . إلا قاموا عن مثل جيفةِ حِمَارٍ ، وكانَ لهم حسرةً » .

(٤) أخرجه أبو عُبيد القاسم بن سلَّام في « الخطب والمواعظ » (٤١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٢٣١) ، وأحمد في « الزهد » (٣٥٤) من طريق كعبٍ قال : (قال موسىٰ : أي رب ؛ أقريب أنت فأناجيك ، أم بعيد فأناديك ؟ قال : يا موسىٰ ؛ أنا جليس من ذكرني) ، فليس هو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٩٣١) ، وابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (١٦١) ، وأبو نُعيم الأصبهاني في « صفة النفاق ونعت المنافقين » (١٧٠) وغيرهم ، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأبي ذرٍّ : « جُلُوسُكَ سَاعَةً عِنْدَ حَلْقَةٍ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ فِيهَا . . خَيْرٌ لَكَ مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ سَنَةٍ »[1] .

فالمؤمنُ إذا جَلَسَ عندَ قومٍ يَذكُرونَ اللهَ تعالىٰ . . فتحَ اللهُ عليهِ أبوابَ الرَّحمةِ ، ولا يقومُ حتَّىٰ يَغفِرَ اللهُ تعالىٰ لهُ ، ثمَّ يُنادِي مُنادٍ : لا تَتفَرَّقُوا ، واستَأنِفُوا العملَ ؛ فقدْ غفرتُ لكمُ الذُّنوبَ .

قالَ العارفونَ : الذِّكرُ ذِكرانِ ؛ ذِكرُ الجَنانِ ، وذِكرُ اللِّسانِ ؛ فذِكرُ اللِّسانِ بِلا ذِكرِ الجَنانِ : غفلةٌ ونِسيانٌ ، وذِكرُ الجَنانِ بِلا ذِكرِ اللِّسانِ : تَوحِيدٌ وإيمانٌ ، وذِكرُ الجَنانِ مع ذِكرِ اللِّسانِ : تَعبُّدٌ وإحسانٌ .

وقيلَ : الذِّكرُ وسيلةُ الحياةِ الأبديَّةِ ، وزادُ الحبيبِ في طريقِ المحبوبِ .

وقيلَ : الذِّكرُ شِعارُ أهلِ المعرفةِ ، والشُّكرُ شِعارُ أهلِ العبادةِ .

وقيلَ : لكلِّ قومٍ عقوبةٌ ، وعقوبةُ العارفينَ انقطاعُهُم عنِ الذِّكرِ .

ورُوِيَ : أنَّ مَنِ ادَّعىٰ حلاوةَ الذِّكرِ مع حُبِّ الدُّنيا . . لا يُصدَّقُ .

ورُوِيَ : أنَّ ثلاثةَ أشياءَ تُحيِي القلبَ : العلمُ مع العملِ ، والعملُ مع الإخلاصِ ، والذِّكرُ مع الِاعتقادِ .

وثلاثةُ أشياءَ تُمِيتُ القلبَ : الجهلُ ، والمعصِيةُ ، وتركُ الذِّكرِ .

وقيلَ : إذا انفَتحَ على القلبِ بابُ الذِّكرِ ومعرفةِ اللهِ تعالىٰ . . تخلَّصَ مِنْ نِيرانِ الآفاتِ والحَسراتِ[2] ، واستَغرقَ بمُعاونَةِ أهلِ السَّماءِ والأرضِ .

قالَ العلماءُ المحقِّقونَ : أعقَلُ أهلِ الإيمانِ : مَنْ كانَ فيهِ أربعُ خصالٍ :

---

(١) لم أقف عليه في شيء من دواوين السنة المعتمدة ، وأورده من متأخري المفسرين إسماعيل حقي في « روح البيان » (١٨٦/٥) ، وعزاه لمجالس حضرة الهدائي .

(٢) في الأصولِ الثَّلاثةِ : (الحشراتِ) بشِينٍ مُعجمةٍ ، ولعلَّ الصَّوابَ ما أثبتُّ . واللهُ تعالىٰ أعلم .

العملُ بطاعةِ اللهِ تعالىٰ ، والرِّضاءُ بقَسْمِ اللهِ تعالىٰ ، ومصاحبةُ رجالِ اللهِ تعالىٰ ، والأُنسُ بذكرِ اللهِ تعالىٰ .

وقيلَ : يَنبغي للمُؤمنِ ثلاثُ خصالٍ : قِلَّةُ الأكلِ لِاختيارِ الصَّومِ ، وقِلَّةُ النَّومِ لِاختيارِ صلاةِ اللَّيلِ ، وقِلَّةُ الكلامِ لِاختيارِ الذِّكرِ .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهَوِّنَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ ٱلْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . . فَلْيَكُنْ لِلهِ تَعَالىٰ قَائِماً سَاجِداً فِي سَوَادِ ٱللَّيْلِ »[1] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِٱللَّيْلِ . . حَسُنَ وَجْهُهُ بِٱلنَّهَارِ »[2] ؛ يعني : يُحِبُّهُ كلُّ مَنْ يراهُ مِنَ الخلقِ .

وقالَ عليهِ السَّلامُ : « ٱلذَّاكِرُ فِي ٱلْغَافِلِينَ كَٱلْمُبَارِزِينَ ٱلْغُزَاةِ وَٱلْمُقَاتِلِينَ »[3] .

وقالَ أهلُ التَّحقيقِ : يحتاجُ الذَّاكِرُ إلىٰ أربعِ خصالٍ : تصديقٌ ، وتعظيمٌ ، وحَلاوةٌ ، وحُرمةٌ ؛ فمَنْ لمْ يكُنْ لهُ تصديقٌ . . فهو منافقٌ ، ومَنْ لمْ يكُنْ لهُ

---

(١) ذكره ابن عطية في « المحرر الوجيز » (٥٢٣/٤) ، عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٣) من حديث سيدنا جابرٍ رضي الله عنه .

وهٰذا الحديث اتفق المحدثون علىٰ أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الخطيب البغدادي في « الفصل للوصل المدرج في النقل » (ص ٢٧) : (هٰذا قول شريك قاله في عقب حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر : « يعقد الشيطان علىٰ قافية رأس أحدكم ثلاث عقد . . . » فأدرجه ثابت في الخبر ، وجعل قول شريك من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم سرق هٰذا جماعة من الضعفاء من ثابت وحدثوا به عن شريك) .

(٣) أخرجه الحسن بن عرفة في « جزء من حديثه » (٤٥) وابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (١٦٨) وابن عساكر في « فضيلة ذكر الله » (٨) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين . . . » الحديث .

وأخرجه البزار في « المسند » (١٧٥٩) والطبراني في « المعجم الكبير » (١٦/١٠) (٩٧٩٧) من حديث سيدنا ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين » .

تعظيمٌ . . فهو مُبتدِعٌ ، ومَنْ لمْ يكُنْ لهُ حلاوةٌ . . فهو مُراءٍ ، ومَنْ لمْ يكُنْ لهُ حُرمةٌ . . فهو فاسقٌ .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رحمةُ اللهِ عليهِ : ما أعرفُ مصيبةً أقبَحَ مِنْ نِسيانِ الذِّكرِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة الحشر : (١٩) .

الباب السادس

في الشكر

الشُّكرُ : الإعترافُ بالعَطيَّةِ ، والإنصرافُ بالخطيَّةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1] ، وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[2] .

قالَ أبو عثمانَ رحمةُ اللهِ عليهِ : (الشُّكرُ معرفةُ العجزِ عنِ الشُّكرِ)[3]

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « مَنْ عَجَزَ عَنِ ٱلشُّكْرِ . . فَقَدْ أَدَّى ٱلشُّكْرَ »[4]

وقيلَ : حقيقةُ الشُّكرِ ألَّا ترىٰ نفسَكَ أهلاً للنِّعمَةِ ، وترى النِّعمةَ عليكَ مِن فضلِ اللهِ تعالىٰ ، لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[5]

ويُقالُ : الشَّاكرُ هو الَّذي يَشكُرُ على النَّعماءِ ، والشَّكورُ : هو الَّذي يَشكُرُ على البلَاءِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِٱلنِّعْمَةِ أَشْكَرُهُمْ لَهَا ؛ فَنِعْمَةٌ لَا تُشْكَرُ خَطِيئَةٌ لَا تُغْفَرُ »[6] .

---

(١) سورة إبراهيم : (٧) .

(٢) سورة النحل : (١١٤) .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٢٦) .

(٤) لم أقف عليه في شيء من دواوين السُّنَّة المعتمدة ، وفي معناه ما أخرجه أحمد في « الزهد » (٣٤٩) من طريق أبي الجَلْدِ قَالَ : قَالَ مُوسَىٰ : إِلَهِي ؛ كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَأَصْغَرُ نِعْمَةٍ وَضَعْتَهَا عِنْدِي مِنْ نِعَمِكَ لَا يُجَازِي بِهَا عَمَلِي كُلُّهُ ؟ قَالَ : فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ : يَا مُوسَىٰ ؛ الآنَ شَكَرْتَنِي .

(٥) سورة النحل : (٥٣) .

(٦) لم أقف عليه مُسنَداً في شيء من دواوين السُّنَّة المعتمدة ، وأورده أبو سعيد الخادمي (ت ١١٥٦ هـ) ←

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا أَنْعَمَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً ، فَعَرَفَ أَنَّهَا مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ . . فَقَدْ أَدَّىٰ شُكْرَهَا قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ »[1] .

وعن أميرِ المؤمنينَ عليٍّ رضي الله عنه ، أَنَّهُ سألَ بعضَ أصحابِهِ قالَ لهُ : كيفَ أصبحْتَ ؟ قالَ : أَصبَحتُ وبي نِعَمٌ لا تُحصىٰ ولا تُعدُّ ، فلَا أَدري أيَّ نعمةٍ أشكرُ ؛ أَقَبِيحاً سَتَرَ ، أم جميلاً نَشَرَ ؟[2]

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أَنَّهُ قالَ : « ٱلْمُطْعَمُ ٱلشَّاكِرُ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ بِمَنْزِلَةِ ٱلصَّائِمِ ٱلصَّابِرِ »[3] .

وقالَ : « شُكْرُ ٱلْمُنعِمِ عَلَى ٱلْمُنعَمِ عَلَيْهِ وَاجِبٌ »[4]

ورُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلشُّكْرُ عَلَى ٱلنِّعْمَةِ أَمَانٌ مِنْ زَوَالِهَا »[5] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ تَزْدَادَ نِعَمُ ٱللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ . . فَلْيَلْزَمِ ٱلشُّكْرَ »[6] .

← في « بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية » (٨١/٣) عن الحسن مرفوعاً مُعلَّقاً ، وأورده أيضاً النوري (ت ١٣٢٠ هـ) من علماء الشيعة في « مستدرك الوسائل » (٣٦٩/١٢) ، فقال : (القطب الراوندي في « لب اللباب » : عن النبي صلى الله عليه وسلم . . . فذكره) .

(١) أخرجه يعقوب بن سفيان الفسوي في « المشيخة » (٢٠) ، وابن أبي الدنيا في « الشكر » (٤٧) ، والحاكم في « المستدرك » (٥١٤/١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، بنحوه .

(٢) لم أقف عليه عن سيدنا عليٍّ رضي الله عنه ، وأخرجه البيهقي في « الزهد الكبير » (٥٨٥) من قول ذي النون بنحوه ، وأخرجه الخطيب في « تاريخ مدينة السلام » (٣٤٥/١١) من طريق عبد الله بن خُبيق يقول : كتب حكيم إلىٰ حكيم . . . ، فذكره بنحوه .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٨٦) ، وابن ماجه (١٧٦٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، بنحوه .

(٤) لم أقف علىٰ حديث في هٰذا المعنىٰ ، وقد اتفق أهل السنة علىٰ وجوب شكر المنعم شرعاً ، وقال المعتزلة : عقلاً . انظر « الإحكام في أصول الأحكام » للآمدي (٨٧/١) .

(٥) أخرجه الديلمي في « مسند الفردوس » كما في « فردوس الأخبار » (١٥٥/٢) من حديث سيدنا عمر رضي الله عنه ؛ بلفظ : « الحمد على النعمة أمان لزوالها » .

(٦) لم أقف عليه مُسنَداً في شيء من دواوين السُّنَّة المعتمدة ، وهٰذا المعنىٰ ثابت في الكتاب العزيز .

وسُئلَ بعضُ أهلِ المعرفةِ عنِ الحمدِ ؛ فقالَ : الحمدُ مقسومٌ علىٰ سِتَّةِ أقسامٍ : على اللِّسانِ ، والنَّفسِ ، والرُّوحِ ، والقلبِ ، والعقلِ ، والمعرفةِ .

فحَمدُ اللِّسانِ : الذِّكرُ والثَّناءُ .

وحمدُ النَّفسِ : الجُهدُ والعَناءُ .

وحمدُ الرُّوحِ : الخوفُ والرَّجاءُ .

وحمدُ القلبِ : الصِّدقُ والوفاءُ .

وحمدُ العقلِ : التَّعظيمُ والحياءُ .

وحمدُ المعرفةِ : التَّسليمُ والرِّضاءُ .

وعن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (حقيقةُ الشُّكرِ للهِ تعالىٰ أنْ تُطِيعَهُ بجميعِ جوارِحِكَ في السِّرِّ والعلانيَةِ)[1] .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « شُكْرُ ٱلْعَيْنِ : ٱلْإِعْرَاضُ عَنِ ٱلنَّظَرِ إِلَى ٱلْمَحَارِمِ ، وَشُكْرُ ٱلسَّمْعِ : ٱلْإِعْرَاضُ عَنِ ٱسْتِمَاعِ ٱللَّهْوِ وَٱللَّغْوِ ، وَشُكْرُ ٱللِّسَانِ : ٱلذِّكْرُ وَٱلتَّسْبِيحُ ، وَشُكْرُ ٱلْيَدَيْنِ : ٱلصَّدَقَةُ وَٱلْمُعَاوَنَةُ ، وَشُكْرُ ٱلرِّجْلَيْنِ : ٱلْمَشْيُ إِلَى ٱلطَّاعَاتِ ، وَشُكْرُ ٱلْقَلْبِ : ٱلْإِيمَانُ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ ، وَٱلْمَحَبَّةُ لَهُمَا »[2] .

---

(١) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١/١٩٥) ، بنحوه .

(٢) لم أقف عليه مُسنَداً في شيء من دواوين السُّنَّة المعتمدة .

الباب السابع

في الاستقامة

الإستقامَةُ : مُتابعةُ الصِّراطِ المستقيمِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ لرسولِهِ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[1]

يعني : استَقِمْ على التَّوحيدِ ، والعملِ بالقرآنِ المجيدِ ، والتَّوكُّلِ على الرَّبِّ الحميدِ .

قالَ عالمُ بنُ عبدِ اللهِ رحمةُ اللهِ عليهِ : الإستقامةُ الخوفُ مِنَ العزيزِ الجبَّارِ ، والحبُّ للنَّبيِّ المُختارِ ، والحياءُ مِنَ الملائكةِ الحُضَّارِ[2] .

وقيلَ : الإستقامةُ علىٰ خمسةِ أوجُهٍ : استقامةُ اللِّسانِ على الذِّكرِ والثَّناءِ ، واستقامةُ النَّفسِ على الطَّاعةِ والحياءِ ، واستقامةُ القلبِ على الخوفِ والرَّجاءِ ، واستقامةُ الرُّوحِ على الصِّدقِ والصَّفاءِ ، واستقامةُ السِّرِّ على التَّعظيمِ والوفاءِ .

ورُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ لِسَانُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ »[3] ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾[4] ؛ أي : استقامُوا فِعلاً كما استَقاموا قولاً .

ورُوِيَ أنَّ سُفيانَ بنَ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) سورة هود : (١١٢) .

(٢) لم أقف علىٰ هٰذا القول ولا علىٰ قائله .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/٢٢٧) (١٠٥٥٣) بنحوه .

(٤) سورة فصلت : (٣٠) .

وسلَّمَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أَخبِرني بأمرٍ أعتَصِمُ بهِ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قُلْ : رَبِّيَ ٱللهُ ، ثُمَّ ٱسْتَقِمْ »[1] ؛ أي : أخلِصِ العملَ في السِّرِّ والعلانيةِ .

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٠) ، وابن ماجه (٣٩٧٢) من حديث سيدنا سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه بلفظه ، والحديث أخرجه مسلم (٣٨) من حديثه أيضاً بلفظ : « قل : آمنت بالله ، فاستقم » .

الباب الثامن

في التقوى

التَّقوى : الإحتماءُ عن مَساخِطِ المولىٰ ، والتَّحرُّزُ عنِ المخاوِفِ ، والتَّشميرُ للوظائفِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ ﴾[1] ؛ أي : اخشوني ، فالتَّقوىٰ : حِفظُ النَّفسِ عمَّا يُؤثِمُها .

ثمَّ اتَّفقَ العلماءُ علىٰ أنَّ التَّقوىٰ : هو الإقتداءُ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قولاً وفعلاً ، ظاهراً وباطناً .

فالقولُ : التَّمسُّكُ بقولِهِ .

والفِعلُ : مُتابعتُه في أفعالِهِ .

والظَّاهرُ : محافظةُ الحدودِ .

والباطنُ : الخوفُ والإخلاصُ .

قيلَ : مَنْ لمْ يكُنْ لهُ تقوىٰ . . لمْ يَتقبَّلِ اللهُ تعالىٰ عملَهُ ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2]

فعلَامةُ المتَّقِي : أنَّهُ إذا قالَ . . قالَ للهِ ، وإذا عمِلَ . . عمِلَ للهِ ، ونَزَعَ مِن قلبِهِ حُبَّ الشَّهَواتِ ، ولمْ يَخلُ عن ذكرِ اللهِ تعالىٰ ؛ ليطمَئنَّ قلبُهُ في التَّوحيدِ والتَّقوىٰ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[3] .

وقيلَ : مَنْ أرادَ أنْ يكونَ عندَ اللهِ عزيزاً مُكرَّماً . . فليتَّقِ اللهَ تعالىٰ في أقوالِهِ

---

(١) سورة البقرة : (٤١) .

(٢) سورة المائدة : (٢٧) .

(٣) سورة الرعد : (٢٨) .

وأفعالِهِ سِرّاً وعلانيةً ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1] ؛ أي : أخوَفُكُم مِنَ اللهِ تعالىٰ .

قالَ أهلُ المعرفَةِ : إذا أردتَ أنْ تَعرِفَ مَقامَكَ عندَ اللهِ . . فانظُر فيما أقامَك ، فعندَ ذٰلكَ تَعرِفُ مقامَكَ[2] .

---

(١) سورة الحجرات : (١٣) .

(٢) حكمةٌ قِيلت ثمَّ اشتَهرت فيما بعدُ عنِ الإمام العارفِ باللهِ الحكيمِ ابنِ عَطاءِ اللهِ السَّكندري رحمه اللهُ تعالىٰ (ت ٧٠٩ هـ) في « حِكَمِه » حيثُ يقولُ : (إذا أردتَ أن تَعرِفَ عند اللهِ مَقامَك . . فانظر فِيما أقامَك) ، وهي من دُررِ القولِ ونفيسِه فدونَك لا يفُتك فَهمُها .

وفي حاشيةِ أصلِ : (ج) قال النَّاسخُ : (اعلم : أنَّ شروطَ التَّوبةِ عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ ثلاثةٌ : الأوَّلُ : النَّدمُ علىٰ ما سَلَفَ مِنَ الذُّنوبِ ، والثَّاني : التَّركُ في الحالِ ، والثَّالثُ : ألَّا يعودَ لِمِثْلِ ذٰلك في المستقبلِ . « في مشكاةِ الأنوارِ ») .

ولستُ أرَىٰ لِذِكرِ هٰذا الكلامِ مناسبةً قويَّةً هنا ، إلَّا ما كان مِن عادةِ النُّسَّاخِ وأهلِ العلمِ قديماً أنَّه كيفما جادتِ القريحةُ حينَها . . فيُمِلِّقُونَ بما لا يخلو مِن فائدةٍ ، واللهُ تعالىٰ أعلم .

الباب التاسع

في الصدق

الصِّدقُ : سلوكُ النَّهجِ ، وتركُ العِوَجِ .

وقيل : الصِّدقُ : تركُ الفُضولِ مِنَ القولِ والفعلِ والحالِ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « عَلَيْكُمْ بِٱلصِّدْقِ ؛ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى ٱلْبِرِّ ، وَٱلْبِرُّ يَهْدِي إِلَى ٱلْجنَّةِ »[1] .

وقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ صَدَقَ . . نَجَا »[2] .

رُوِيَ أنَّ قاتِلاً قتلَ رجُلاً ، ثمَّ دخلَ علىٰ أبي الحَجَّاجِ الأقصريِّ رحمةُ اللهِ عليهِ هارباً[3] ، قالَ لهُ : أجِرني ، قالَ أبو الحجَّاجِ : انزِلْ إلى الجُورَةِ[4] بينَ فخِذَيَّ ، وكانَ أبو الحجَّاجِ حائكاً ، وكانَ لحانوتِهِ بابانِ فدخلَ عليهِ أناسٌ ، وقالوا : أينَ الرَّجُلُ الَّذي دخَلَ عليكَ ؟ قالَ : في الجُورةِ بينَ فخِذَيَّ ، قالوا : أتستَهزِئُ بنا ؟! ثمَّ ذهبوا ، فقالَ القاتلُ : أتيتُكَ لتُجِرني ، فدلَّيتَ عليَّ ! قالَ أبو الحجَّاجِ : لو كَذَبتُ . . لوجَدوكَ وقَتلوكَ ، فما نجَّاكَ اللهُ تعالىٰ إلَّا بصِدقِي .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، بنحوه .

(٢) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (١٩٦) من حديث سيدنا ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنه ، وفيه : « من صدق الله . . نجا » .

(٣) انظر ما تقدم (ص ٥١٢) .

(٤) الجُورة : الجوار ، الجُورة : الحفرة والنقرة . ينظر مادة (ج و ر) في « تكملة المعاجم العربية » (٣٣٣/٢) ، و« معجم متن اللغة » (٥٩٩/١) .

الباب العاشر

في اليقين

اليقينُ : نقيضُ الشَّكِّ ، أو إزالةُ الشَّكِّ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[1] ؛ أي : يَعلَمونَ ويَعتقِدونَ الآخرةَ بِلا شَكٍّ ولا شُبهةٍ ؛ فلا يَميلونَ إلى الدُّنيا بالمحبَّةِ ، ولا يَغفُلونَ عن طَلَبِ الآخرةِ ، ولا يَعمَلونَ عملاً يُعاتَبونَ أو يُعاقَبونَ عليهِ يومَ القِيامةِ .

وقالَ أبو عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ : (اليقينُ : تركُ الِاهتمامِ لغدٍ ، وهو شُعبةٌ مِنَ الإيمانِ)[2] .

وقيلَ : اليقينُ علىٰ ثلاثةِ أضرُبٍ :

علمُ اليقينِ : وهو علمُ كلِّ عاقلٍ بالموتِ ، فيَستَعِدُّ لهُ قبلَ نُزولِهِ .

وعينُ اليقينِ : وهو مُعايَنتُهُ الملائكةَ عندَ الموتِ .

وحقُّ اليقينِ : وهو ذَوقُ شَرابِ الموتِ .

وثمَرةُ اليقينِ : الِاستعدادُ للآخرةِ ، وعلامةُ اليقينِ : تركُ الدُّنيا قبلَ الِارتحالِ عنها ؛ أي : مِنَ الدُّنيا ، وحصولُ اليقينِ : طلبُ الآخرةِ قبلَ القُدومِ إليها ، والِاستعدادُ للموتِ قبلَ نُزولِهِ ، وإرضاءُ الرَّبِّ قبلَ لقائِهِ ، والإيقانُ : علمٌ بِلا شكٍّ .

---

(١) سورة البقرة : (٤) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٣٢) .

الباب الحادي عشر

في الحلم

قالَ بعضُ المتكلِّمينَ : الحِلمُ : زِينةُ الرَّجُلِ ، والعِلمُ : غُنيَتُهُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾[1] ؛ أيْ : غيرُ عَجولٍ على المُسيءِ ، أوَّاهٌ : مُتأوِّهٌ إذا ذَكَرَ اللهَ تعالىٰ ، مُنِيبٌ ؛ أي : رجَّاعٌ إلى اللهِ تعالىٰ بالتَّوبةِ والإستغفارِ ؛ ولهٰذا قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ أَغْنِنِي بِٱلْعِلْمِ ، وَزَيِّنِّي بِٱلْحِلْمِ »[2] .

وقالَ النَّبيُّ عليهِ السَّلامُ : « إِنَّ ٱلْمَرْءَ لَيُدْرِكُ بِٱلْحِلْمِ دَرَجَةَ ٱلصَّائِمِ ٱلْقَائِمِ »[3] .

ورُوِيَ أنَّهُ قيلَ للحسنِ البصريِّ : إنَّ فُلَاناً يَستَغِيبُك ، قالَ : دَعُوهُ بفِعلِهِ ، ثمَّ أرسلَ إليهِ أربعينَ دِرهماً وطَبَقاً حُلْواً ، وقالَ لهُ : سَمِعتُ أنَّكَ تقولُ كذا وكذا ؛ فإن تَرَكتَ . . فاترُك ، وإن زِدتَ . . فَزِد[4] .

وحُكِي أنَّ رجُلاً شتَمَ الأحنفَ بنَ قيسٍ وهو يَمشي في الطَّريقِ ، فلمَّا قَرُبَ إلى الحيِّ . . قالَ للشَّاتِمِ : إنْ كانَ بَقِيَ في قَلبِكَ شيءٌ . . فقُل ؛ كَي لَا يَسمَعَ بعضُ سُفهاءِ الحيِّ فيُؤذوكَ[5] .

---

(١) سورة هود : (٧٥) .

(٢) أخرجه الشجري في « الأمالي الخميسية » (٢٣٠) من حديث سيدنا عليٍّ رضي الله عنه ، والرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (٣٢٤/٢) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وابن أبي الدنيا في « الحلم » (٢٠) من طريق ابن عيينة مرسلاً .

(٣) أخرجه المعافى بن عمران في « الزهد » (١٠٣) ، وابن أبي الدنيا في « الحلم » (٨) من حديث سيدنا عليٍّ رضي الله عنه .

(٤) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٠١) قال : (قيل للحسن البصري : إن فلانا اغتابك ، فبعث إليه طبق حلواء ، وقال : بلغني أنك أهديت إلي حسناتك ، فكافأتك) .

(٥) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٣١) ، وفيه : (فيجيبوك) مكان (فيؤذوك) .

ويقالُ : الحِلمُ : تركُ الإنتقامِ مِنَ المُسيءِ[1]

(١) قال الجاحظ في « تهذيب الأخلاق » (ص ٢٣) : (الحلم : ترك الانتقام عند شدَّة الغضب مع القدرة على ذلك) .

وقال ابن مسكويه في « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » (ص ٣٠) : (أما الحلم : فهو فضيلة للنفس تُكسبها الطمأنينة ، فلا تكون شغبة ، ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة) .

الباب الثاني عشر
في حُسْنِ الخُلُق

الخلقُ : كَفُّ الأذيَّةِ ، وحَمْلُ البَلِيَّةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ لرسولِه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] ، وهو تَحمُّلُ الأذَىٰ ، والعفوُ عنِ المسيئينَ .

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللهُ عنهُ قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أيُّ المؤمنينَ أفضلُ إيماناً ؟ قال : « أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً »[2]

وحُكِيَ أنَّهُ كانَ لرجُلٍ مِنَ الصَّالحينَ عبدٌ سيِّئُ الخُلُقِ ، فقيلَ لهُ : بِعْ هٰذا العبدَ واشترِ غيرَهُ ؛ فإنَّهُ يُؤذِيكَ ، فقالَ : إنِّي أتعلَّمُ منهُ حُسنَ الخُلُقِ ، وإذا فَرغتُ مِنَ التَّعلُّمِ . . أبيعُه ؛ لأنَّ مَنْ يَتحمَّلُ أذَىٰ عبدِهِ قدْ يَتحمَّلُ أذَىٰ غيرِهِ[3] .

وسُئلَ أبو جعفرٍ رحمةُ اللهِ عليهِ : ما أفضلُ الأعمالِ بعدَ أداءِ الفرائضِ ؟ قالَ : الخُلُقُ الحسَنُ .

---

(١) سورة القلم : (٤) .

(٢) أخرجه البزار في « المسند » (٧٤٤٥) ، وأبو يعلىٰ في « المسند » (٤١٦٦) بلفظ : « أَكْمَلُ النَّاسِ إيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً » .

(٣) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٥٣٣) .

الباب الثالث عشر

في الكذب

الكَذِبُ : قولٌ قبيحٌ عارٍ عن صِفَةِ المنفَعَةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[1] .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِيَّاكُمْ وَٱلْكَذِبَ ؛ فَإِنَّهُ يَهْدِي[2] إِلَى ٱلْفُجُورِ ، وَٱلْفُجُورُ يَهْدِي إِلَى ٱلنَّارِ »[3] .

وقيلَ : أربعةُ أفعالٍ تَنقُضُ الوضوءَ عندَ العارفينَ : الكَذِبُ ، والغِيبَةُ ، والنَّمِيمةُ ، وأذَى المسلمِ بغيرِ حقٍّ .

ورُوِيَ أنَّ رجلاً جاءَ إلى النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ ، قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ بُلِيتُ بثلاثِ خِصالٍ مِنَ المعاصِي فَلَا أصبِرُ عنهنَّ : الكذبُ ، والزِّنا ، وشُربُ الخمرِ ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « أَمَّا ٱلْكَذِبُ . . فَدَعْهُ » ، فقامَ الرَّجُلُ وذهبَ إلىٰ سبيلِهِ ، فاستَقبَلَهُ الزِّنا ، فقالَ في نفسِهِ : إنِ ارتكبتُ الزِّنا ثمَّ سألنِي النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : هل زَنَيتَ ؟ إنْ قلتُ : نعمْ . . ضَرَبَني الحدَّ ، وإنْ قلتُ : لا . . فقد نَقَضتُ العهدَ ؛ فتَرَكَ الزِّنا ، ثمَّ استَقبَلَهُ شُربُ الخمرِ ، فتأمَّلَ في نفسِهِ ، وقالَ مِثلَ ما قالَ في الأُولىٰ ، فعَلِمَ أنَّ الكذبَ أعظمُ المصائبِ[4] .

---

(١) سورة البقرة : (١٠) .

(٢) في الأصولِ الثَّلاثةِ : (يَهوي) ، والمثبتُ هو الصوابُ الموافق للفظ الحديث .

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (١٠٥/٢٦٠٧) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) لم أقف عليه في شيء من دواوين السنة المعتمدة ، وأورده بنحوه جماعة من الأدباء كالجاحظ في « المحاسن والأضداد » (ص ٢٩) ، وابن المبرد في « الكامل » (١٥٦/٢) ، وإبراهيم البيهقي في « المحاسن والمساوئ » (ص ١٧٠) ، والزمخشري في « ربيع الأبرار » (٣٣٩/٤ ـ ٣٤٠) ، وابن حمدون في « التذكرة الحمدونية » (٤٩/٣) .

الباب الرابع عشر

في الصمت

الصَّمتُ : سُقوطُ النُّطقِ لظهورِ الحقِّ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[1] .

وكلُّ قولٍ وفعلٍ لا يَليقُ بالشَّرعِ فهو لَغوٌ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ . . فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ »[2] .

وقالَ الأستاذُ أبو عليٍّ : (السَّاكتُ عنِ الحقِّ شيطانٌ أخرسُ)[3] .

وقالَ عليهِ السَّلامُ : « ٱلْعِبَادَةُ عَشْرَةُ أَقْسَامٍ : تِسْعَةٌ فِي ٱلصَّمْتِ ، وَوَاحِدٌ فِي ٱلْفِرَارِ مِنَ ٱلنَّاسِ »[4]

---

(١) سورة المؤمنون : (٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) يَنمِيه بعضُهم إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وليس كذلك ، بل هو مِنَ القولِ المشهورِ المكرورِ الدَّائرِ علىٰ ألسُنِ مَن يَنسِبونَ أنفسَهم إلى الحقلِ الثَّقافيِّ ، ويَصِفونَ أنفسَهم بالنُّخبةِ ، ويدَّعونَ التَّميزَ العِلميَّ ! وقد سَمِعناه في غيرِ مَحفلٍ مِن عُلماءَ وفُضلاءَ ! كلُّهم يرفَعُه إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بصيغةِ الجزمِ ! والأعجبُ مِن هٰذا كلِّه : أنَّ هٰذا القولَ ليس له ذِكرٌ في كُتُبِ الموضوعاتِ والمصنوعاتِ فضلاً عن أن يكونَ في الصِّحاحِ والمسانيدِ المرفوعاتِ ؛ ليَهِمَ فيه الأصيلُ والدَّخيلُ على السَّواءِ ! فما هو إذاً إلَّا تواردٌ علىٰ خطأ ، وإن كان هٰذا القولُ نطقَ به غيرُ واحدٍ مِن سَلفِنا الصَّالحِ ؛ ممَّا يصعبُ توثيقُ نسبتِه لقائلِه علىٰ وجهِ التَّعيينِ ؛ إلَّا أنَّني أكادُ أجزمُ أن يكونَ للأستاذِ أبي عليٍّ الدَّقاقِ ؛ كما عزا ذٰلك إليه زَينُ الإسلامِ أبو القاسمِ القُشيريُّ رحمةُ اللهِ عليه ، حيثُ وقفتُ علىٰ نصٍّ له في « الرِّسالةِ » يقولُ فيه : (السُّكوتُ في وقتِه صِفةُ الرِّجالِ ؛ كما أنَّ النُّطقَ في مَوضِعِه مِن أشرفِ الخِصالِ ، سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدَّقَّاق رحمةُ اللهِ عليه يقول : مَن سكتَ عنِ الحقِّ . . فهو شيطانٌ أخرسُ) . واللهُ تعالىٰ أعلم . « الرِّسالةُ القُشيريَّةُ » (ص ٣٤١) .

(٤) أخرجه أبو طاهر السِّلَفي في « الطيوريات » (٩٨٤) من حديث سيدنا ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ ←

قال بِشرُ بنُ الحارثِ : (إذا أعجبَك الصَّمتُ . . فتكلَّم ، وإذا أعجبَك الكلامُ . . فاصمُت)[1] .

وقالَ معاذُ بنُ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (كلِّمِ النَّاسَ قليلاً ، وكلِّم ربَّك كثيراً ؛ لعلَّ قلبَكَ يَرى اللهَ عزَّ وجلَّ ، وهو التَّضرُّعُ إليه)[2] .

وقيلَ لأبي يَزيدَ البِسطاميِّ رحمةُ اللهِ عليهِ : ما عَلامةُ العارفِينَ ؟ قالَ : صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَنطقونَ ؛ صمٌّ عنِ استماعِ الباطلِ ، بُكمٌ عنِ اللَّغوِ ، عُميٌ عنِ النَّظرِ إلى المحرَّماتِ[3]

← رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « العَافِيَةُ عَشْرةُ أَجْزَاءٍ : تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ ، وَالعَاشِرةُ اعْتِزَالُكَ عَنِ النَّاسِ » .

وأخرجه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٣٥) عن الأوزاعي من قوله .

وأخرجه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » أيضاً (٨٧) عن وهيب بن الورد من قوله .

(١) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٤٧/٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٦٩٨) والقشيري في « الرسالة » (ص ٣٤٣) ، من طريق بشر بن الحارث الحافي من قوله .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٤٣) .

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وأخرج السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٧٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٩/١٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧١٤) أنه سُئِلَ : ما عَلَامَةُ العَارِفِ ؟ قَالَ : أَلَّا يَفْتُرَ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَلَا يَمَلَّ مِنْ حَقِّهِ ، وَلَا يَسْتَأْنِسَ بِغَيْرِهِ .

الباب الخامس عشر

في حفظ اللسان

حِفظُ اللِّسانِ : قيمةُ الإنسانِ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1] ؛ أي : عنده حافظٌ حاضرٌ[2] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً تَكَلَّمَ فَغَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ »[3] .

وقالَ عليهِ السَّلامُ : « إِعْرَاضُ ٱللهِ تَعَالَىٰ عَنِ ٱلْعَبْدِ ٱشْتِغَالُهُ فِي مَا لَا يَعْنِيهِ »[4] .

---

(١) سورة قَ : (١٨) .

(٢) يَظنُّ البعضُ أنَّ المَلَكينِ الموكَّلَينِ بكَتبِ عملِ ابنِ آدمَ من خيرٍ وشرٍّ . . اسمُ صاحبِ اليمينِ منهما : رقيبٌ ، واسمُ الآخَرِ صاحبُ الشِّمالِ : عتيدٌ .

وهٰذا غلطٌ محضٌ مخالفٌ لظاهرِ الآيةِ الكريمةِ ؛ بل هما وصفانِ للمَلَكينِ ؛ فكلٌّ مِنهما وصفُه : رقيبٌ عتيدٌ ، فلم يقل : رقيبٌ وعتيدٌ ؛ لنقولَ إنَّهما اسمانِ ، وأنَّ العطفَ يَقتضي المغايرةَ ، فهما وصفانِ للمَلَكينِ ، لا اسمانِ لهما ، فتَنبَّه .

قال الإمامُ القُرطبيُّ رحمةُ اللهِ عليه : (في الرَّقيبِ ثلاثةُ أوجهٍ : أحدها : أنَّه المتتبِّعُ للأمورِ ، والثَّاني : أنَّه الحافظُ ، قاله السُّديُّ ـ وهٰذا الَّذي اختارَه السُّهروردِيُّ ـ ، الثَّالثُ : أنَّه الشَّاهدُ ، وفي العَتيدِ وجهانِ : أحدُهما : أنَّه الحاضرُ الَّذي لا يَغيبُ ـ وهو الَّذي ذهبَ إليه السُّهرَوَردِيُّ ـ ، الثَّاني : أنَّه الحافِظُ المعَدُّ ؛ إمَّا للحفظِ ، وإمَّا للشَّهادةِ) . انظر « الجامع لأحكام القرآن » (١٧/١١) .

(٣) أخرجه هناد بن السَّري في « الزهد » (١١٠٦) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (٤١) ، وابن المقرئ في « المعجم » (١٢٨٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٨٥) عن الحسن مرسلاً .
وأخرجه ابن أبي عاصم في « الزهد » (٩) عن خالد بن أبي عمران مرسلاً .
وأخرجه القُضاعي في « مسند الشهاب » (٥٨٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٨٩) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) لم أقف له على إسناد ، وأورده الغزالي في « أيها الولد » (ص ٢) .
وأورده ابن عبد البر في « التمهيد » (٢٠٠/٩) ، وابن البناء في « الرسالة المغنية في السكوت ولزوم ←

وقيلَ : بحفظِ اللِّسانِ يُحفَظُ الإنسانُ .

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ رضيَ الله عنهُ : (لسانُكَ أسَدُكَ ؛ إنْ حرَستَهُ .. حَرَسَك ، وإنْ أطلَقتَهُ[1] .. افتَرسَكَ)[2]

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً عَرَفَ زَمَانَهُ ، وَحَفِظَ لِسَانَهُ »[3] .

وقيلَ : اللِّسانُ قِيمةُ الإنسانِ ؛ فمَنْ قوَّمَهُ .. زادَت قِيمَتُهُ ، وتقويمُهُ : النُّطقُ بالصِّدقِ .

فأعظَمُ المصائبِ : تَركُ الصِّدقِ مع عِرفانِ ثوابِهِ ، وأعظَمُ المصائبِ أيضاً : الدَّوامُ على الكَذِبِ مع عِرفانِ عِقابِهِ وعَذابِهِ .

← البيوت » (ص ٦٢) ، عن الحسن البصري قال : (مِنْ عَلَامَةِ إِعْرَاضِ اللهِ عَنْ عَبْدِهِ أَنْ يَجْعَلَ شُغْلَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ) .

وأورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤١٨/٢) ، من قول الجُنيد .

(١) في الأصل : (طلقته) .

(٢) أورده ابن الملقِّن في « المعين على تفهم الأربعين » (ص ٣٥٤) ولم ينسبه لقائل ، وإنما قال : (في الحكمة . . .) .

(٣) أخرجه الحاكم في « تاريخ نيسابور » كما في « جمع الجوامع » للسيوطي (١٢٨٧٣) من حديث سيدنا ابن عباس مرفوعاً ، بلفظ : « رحم الله من حفظ لسانه ، وعرف زمانه ، واستقامت طريقته » .

الباب السادس عشر

في القلب

القلبُ : لَوحٌ مَنقوشٌ بقُدرةِ اللهِ تعالى المعبَّرةِ باليدِ[1] ، ونُقوشُهُ : العقلُ ، والعلمُ ، والإيمانُ ، واليقينُ .

فالعقلُ : هو الفارِقُ بينَ الحقِّ والباطلِ ، وهو مَناطُ التَّكليفِ مِنَ الأمرِ والنَّهيِ .

رُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عنهُ ، وعليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّه قالَ : « خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى ٱلْعَقْلَ مِنْ نُورٍ مَكْنُونٍ مَخْزُونٍ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ؛ بِهِ يأْمُرُ ، وَبِهِ يَنْهَىٰ »[2] .

والعلمُ : هو العلمُ باللهِ تعالىٰ بِلَا كيفٍ ، وبالأحكامِ والتَّمسُّكِ بها .

والإيمانُ : هو التَّصديقُ بوحدانيَّةِ اللهِ تعالىٰ ، وملائكتِهِ ، وكتُبِهِ ، ورُسُلِهِ ، وباليومِ الآخِرِ ، وبالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ مِنَ اللهِ تعالىٰ .

واليقينُ : اطمِئنانُ القلبِ بالموتِ والبَعثِ والحسابِ والجزاءِ ، قالَ النَّبيُّ

---

(١) هٰذا النَّصُّ وغيرُه ممَّا يؤكِّدُ أنَّ اعتقادَ الإمامِ أبي الحسنِ الأشعريِّ متأصِّلٌ في الإمامِ أبي حفصٍ السُّهروَرديِّ رحمة الله عليهم أجمعين ، وأنَّ السَّببَ مِن عدمِ ذكرِه لشيءٍ مِن هٰذه الخلافاتِ في كتابه « أعلامُ الهدىٰ » إنَّما هو توحيدٌ لكلمةِ المسلمينَ ، وجمعٌ للشَّملِ ، ورأبٌ للصَّدعِ ، وقد تقدَّمَ معنا قبل قليلٍ تعريفُه للإيمانِ يذهبُ فيه مَذهبَ الأشاعرةِ ، وأشارَ إلىٰ ذٰلك في مواطنَ مِن كتابِه الموسومِ آنفاً .

(٢) أورده الرازي في « مفاتيح الغيب » (١/٢٤٠) عن سيدنا عليٍّ موقوفاً .
وأخرجه المجلسي ، شيعي متأخِّر (ت ١١١١ هـ) في « بحار الأنوار » (١/١٠٧) (٣) من حديث سيدنا عليٍّ مرفوعاً .

صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « ٱلْقَلبُ أَمِيرُ ٱلْجَسَدِ ؛ إِذَا صَلَحَ . . صَلَحَ ٱلْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَ . . فَسَدَ ٱلْجَسَدُ كُلُّهُ »[1] ، وهو بيدِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ يُقلِّبُهُ كيفَ يشاءُ .

وقيلَ : تِسعةُ أشياءَ تُرقِّقُ القلبَ : قراءةُ القرآنِ ، وذكرُ اللهِ تعالىٰ ، وقيامُ اللَّيلِ ، ومَسُّ رأسِ اليَتيمِ ، وعِيادَةُ المريضِ ، واتِّباعُ الجنازةِ ، وزِيارةُ القبورِ ، وذِكرُ الموتِ ، وصُحبَةُ الصَّالحينَ .

وأربعةُ أشياءَ تُميتُ القلبَ : فُضولُ الكلامِ ، وأكلُ الحرامِ ، وصُحبَةُ الجُهَّالِ ، وكَثرَةُ الضَّحِكِ .

ورُوِيَ أنَّ القلوبَ نوعانِ : قلبٌ سليمٌ ، وقلبٌ سقيمٌ .

فالسَّليمُ : قلبُ وليِّ اللهِ تعالىٰ ، والسَّقيمُ : قلبُ عدُوِّ اللهِ تعالىٰ .

وقيل : القلوبُ ثلاثةُ أنواعٍ : قلبٌ مُتعلِّقٌ بالدُّنيا ، وقلبٌ مُتعلِّقٌ بالعُقبىٰ ، وقلبٌ مُتعلِّقٌ بالمولىٰ ؛ وهو أفضلُ القلوبِ .

وقيلَ : القلوبُ ثلاثةُ أنواعٍ : قلوبُ الحكَّامِ ، وقلوبُ العوامِّ ، وقلوبُ الفُقراءِ .

فقلوبُ الحكَّامِ : كالقارورةِ ؛ إذا انكسَرَتْ . . لا تَصِيرُ صحيحةً إلَّا بزمانٍ طويلٍ ، ثمَّ لا تكونُ كما كانَتْ .

وقلوبُ العوامِّ : كالفَخَّارِ ؛ إذا انكسَرَ . . يَصِيرُ صحيحاً بعد أيَّامٍ ، ويُمكِنُ أنْ يكونَ كما كانَ .

---

(١) قوله : (القلب أمير الجسد) لم يرد في الحديث . وقد أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) من حديث سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، بلفظ : « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ؛ إِذَا صَلَحَتْ . . صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ . . فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » .

وقلوبُ الفُقراءِ : كاللُّبَيْنَةِ [1] ؛ إذا انكسَرَتْ . . قدْ تكونُ صحيحةً يومَ كُسِرَتْ ، وتُجبَرُ بمُجرَّدِ اعتذارِ الكاسرِ ؛ لأنَّ الفُقراءَ أصحابُ التَّحمُّلِ .

(١) تصغير لَبِنَة ؛ واحدة ما يبنىٰ به .

الباب السابع عشر

في الفكر

الفِكرُ : إحضارُ ما في القلبِ مِنْ مَعرفةِ الأشياءِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1] .

ورُوِيَ أنَّ الفِكرَ سِراجُ القلبِ ؛ بهِ يَرىٰ خَيرَهُ وشرَّهُ[2] ، ونَفعَهُ وضُرَّهُ ؛ فكلُّ قلبٍ لا تَفَكُّرَ فيهِ . . فهو في ظُلُماتٍ مُحِيطةٍ بهِ .

وقيلَ : الفِكرُ علىٰ ضَربينِ :

تَفكُّرٌ في الخالقِ عزَّ وجلَّ : وهو مَنهيٌّ عنه ؛ لأنَّهُ لا يَبلُغُ العبدُ مَعرِفةَ ذاتِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ .

وفِكرٌ في الخلقِ : وهو مندوبٌ ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3] ؛ أيْ : أصحابِ العقلِ والفِكرِ ؛ فإنَّهُم يَستَدِلُّونَ علىٰ توحيدِ اللهِ تعالىٰ وصفاتِهِ وقُدرتِهِ .

قالَ عليهِ السَّلامُ : « تَفَكَّرُوا فِي ٱلْخَلْقِ ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي ٱلْخَالِقِ »[4] .

وقالَ عليهِ السَّلامُ : « تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ »[5] .

وقالَ عليهِ السَّلامُ : « عَوِّدُوا أَعْيُنَكُمُ ٱلْبُكَاءَ ، وَقُلُوبَكُمُ ٱلْفِكْرَ »[6] ؛ فإنَّ الفِكرَ

---

(١) سورة آل عمران : (١٩١) .

(٢) في (ج) بزيادةِ : (مِنَ اللهِ تعالىٰ) .

(٣) سورة آل عمران : (١٩٠) .

(٤) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في « العظمة » (٥) من حديث سيدنا ابن عبَّاس رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في « العظمة » (٤٣) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٤٤/٣) ، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، بلفظ : « فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً » .

(٦) أخرجه أبو نُعيم في « حلية الأولياء » (٢٧٤/٩) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

في آياتِ اللهِ تعالىٰ ومَخلوقاتِهِ يَتولَّدُ منهُ معرفةُ اللهِ تعالىٰ ، والفِكرُ في آلاءِ اللهِ تعالىٰ يَتولَّدُ منهُ المحبَّةُ للهِ ، والفِكرُ بوعدِ اللهِ تعالىٰ يَتولَّدُ منهُ الرَّغبةُ في اللهِ تعالىٰ ، والفِكرُ في وعِيدِ اللهِ تعالىٰ يَتولَّدُ منهُ الرَّهبةُ والخَشيَةُ ، والفِكرُ في جَفاءِ النَّفْسِ في مُقابَلةِ إحسانِ اللهِ تعالىٰ إليها يَتولَّدُ منهُ الحياءُ مِنَ اللهِ تعالىٰ .

وقالَ القائلُ : تَفكُّرُكَ فيكَ يَكفِيكَ .

وقالَ عليهِ السَّلامُ « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ . . فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ »[1] ، ومعرفةُ النَّفسِ لا تكونُ إلَّا بالعقلِ والفِكرِ .

---

(١) قال ابن حجر الهيتمي في « الفتاوي الحديثية » (ص ٦٧٧) : (لا أصل له ، وإنما يحكىٰ من كلام يحيى بن معاذ الرازي الصوفي ، ومعناه : مَن عَرَفَ نفسه بالعجز والافتقار ، والتقصير والذلة والانكسار . . عَرَفَ ربه بصفات الجلالة والجمالة علىٰ ما ينبغي لهما ، فأدام مراقبته ، حتىٰ يفتح له باب مشاهدته ؛ فيكون من أخصائه الذين أفرغ عليهم سجال معرفته ، وألبسهم صوافي خلافته) .
وللسيوطي كتاب بعنوان « القول الأشبه في حديث من عرف نفسه . . فقد عرف ربه » مطبوع ضمن « الحاوي للفتاوي » (٢/٢٨٨) .

الباب الثامن عشر

في الفراسة

الفِراسةُ : مُعايَنةُ المغيَّباتِ بالأنوارِ الرَّبانيَّةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[1] ، أي : للمُتفرِّسِينَ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱتَّقُوا فِرَاسَةَ ٱلْمُؤْمِنِ ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ ٱللهِ »[2] .

وقيلَ : مَنْ غضَّ بصرَهُ عنِ المحارمِ ، وأمسكَ نفسَهُ عنِ الشَّهَواتِ ، وعمرَ باطنَهُ بِدَوامِ المراقَبةِ ، وظاهرَهُ باتِّباعِ سُنَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعوَّد نفسَهُ بأكلِ الحلالِ . . لمْ تُخطِ فِراستُهُ .

وحُكِي عن أحمدَ بنِ عاصمٍ أنَّهُ قالَ : (إذا جالَستُم أهلَ الصِّدقِ . . فجالسُوهم بالصِّدقِ ؛ فإنَّهُم جواسِيسُ القلوبِ ، يَدخلُونَ في قلوبِكُم ويَخرُجونَ منها مِنْ حيثُ لا تَشعرونَ ، فعامِلوهُم بالصِّدقِ)[3] .

---

(١) سورة الحجر : (٧٥) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٢٧) والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٨٤٣) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وأخرجه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١١٥٧) والطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٢٥٤) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٣) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥١٩) .

الباب التاسع عشر

في المعرفة

المعرفةُ : مَعرِفةُ اللهِ تعالىٰ بالوَحدانِيَّةِ ؛ وهي : أنْ تَعلَمَ أنَّهُ تعالىٰ قبلَ كلِّ شيءٍ ، وأوَّلُ كلِّ شيءٍ ، وإليهِ مَصِيرُ كلِّ شيءٍ ، وعليهِ رِزْقُ كلِّ حيٍّ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] ، أي : لِيَعرِفُونِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دِعَامَةُ ٱلْبَيْتِ أَسَاسُهُ ، وَدِعَامَةُ ٱلدِّينِ مَعْرِفَةُ ٱللهِ تَعَالَىٰ »[2]

وقيلَ : علامةُ حُصولِ المعرفةِ التَّعجُّبُ مِن كلِّ شيءٍ يُرىٰ بعَينِ العِبرةِ .

وقد سُئِلَ الشِّبليُّ رحمةُ اللهِ عليه عن أَعجبِ الأشياءِ ؟ قالَ : مَن عَرَفَ اللهَ تعالىٰ ثمَّ عصاهُ[3] .

وأعجَبُ مِنْ ذٰلكَ : مَنْ عَرَفَ اللهَ تعالىٰ ثمَّ التَفَتَ إلىٰ غيرِهِ !

وسُئلَ الجُنَيدُ رحمةُ اللهِ عليهِ : ما حياةُ القلبِ ؟ قالَ : معرفةُ اللهِ تعالىٰ ، ونِسيانُ ما سِواهُ .

وقالَ : مَنْ عَرَفَ اللهَ . . أحبَّهُ وأطاعَهُ ، وأكثَرَ ذِكرَهُ ولَزِمَ بابَهُ .

وقيلَ : أَوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ دَاوُودَ : أنِّي أنا اللهُ لا إلٰهَ إلَّا أنا ؛ فمَنْ أحبَّنِي وخافَ عَدلِي . . فقدْ عَرَفَنِي حقَّ مَعرفَتِي .

وقالَ أبو القاسمِ الحكيمُ : علامةُ التَّائبينَ تَركُ الدُّنيا ، وعلامةُ الزَّاهدينَ تركُ النَّفسِ ، وعلامةُ العارفينَ تركُ الذُّنوبِ .

---

(١) سورة الذاريات : (٥٦) .

(٢) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص ٦٣٨) ، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ مدينة السلام » (٥٦٣/١٦) .

وقالَ عطاءٌ[1] رحمةُ اللهِ عليه : (للمعرفةِ ثلاثةُ أركانٍ : الهَيبةُ والحياءُ والأُنسُ) .

وقيلَ : العالِمُ قدْ يُقتَدىٰ بهِ ، والعارفُ قدْ يُهتَدىٰ بهِ ؛ لأنَّ العارِفَ فوقَ ما يقولُ ، والعالِمُ دونَ ما يقولُ .

وقيلَ : هِمَّةُ العابدِ نَفْسُهُ ، وهِمَّةُ العارفِ ربُّهُ .

وقالَ حسنُ بنُ منصورٍ : لا يكونُ العارفُ عارِفاً حتَّىٰ يكونَ فارِغاً مِنَ الدُّنيا والآخِرةِ ؛ لقولِهِ عليهِ السَّلامُ : « مَنْ طَلَبَ ٱلدُّنْيَا . . فَاتَهُ ٱلْعُقْبَىٰ ، وَمَنْ طَلَبَ ٱلْعُقْبَىٰ . . فَاتَهُ ٱلْمَوْلَىٰ ، وَمَنْ طَلَبَ ٱلْمَوْلَىٰ . . فَهُوَ ٱلْعَارِفُ ٱلْكَامِلُ »[2] .

---

(١) في « الرسالة القشيرية » (ص ٦٤٣) : (ابن عطاء) .

(٢) لم أقف عليه في شيء من دواوين السُّنَّة المعتمدة ، ولا في غيرها .

الباب العشرون

في الموعظة

الموعظةُ : تَصفِيَةُ الفُؤادِ ، وتَنقِيَةُ الإعتقادِ .

وقيلَ : الموعِظةُ إرشادُ أهلِ الغَفَلاتِ إلىٰ طريقِ أبوابِ السَّعاداتِ .

وقيلَ : الموعِظةُ تَقويةُ القلوبِ للوُصولِ إلى المحبوبِ .

وقيلَ : الموعِظَةُ الأمرُ بالموافَقاتِ ، والتَّحرُّزُ عنِ المخالفاتِ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً . . جَعَلَهُ وَاعِظاً لِنَفْسِهِ يَأْمُرُهَا بِٱلْخَيْرِ وَيَنْهَاهَا عَنِ ٱلشَّرِّ »[1] .

وحُكِيَ أنَّ رَجُلاً قالَ لواعظٍ : عِظنِي مَوعِظَةً جامِعةً لكلِّ المواعظِ ، قالَ الواعِظُ : يا أخي ؛ اعلمْ : أنَّ مَنْ ضَيَّعَ أيَّامَ حِراثَتِهِ . . نَدِمَ يومَ الحَصادِ .

ورُوِيَ أنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ لعيسى ابنِ مريمَ عليهِ السَّلامُ : يا عيسىٰ ؛ عِظْ نفسَكَ ؛ فإنِ انتَفعْتَ . . فَعِظِ النَّاسَ ، وإلَّا . . فاستَحْيِ مِنِّي[2] .

وقيلَ : النَّصيحةُ : تَنبِيهُ الغافلِ ، وتعريفُ العاقلِ بتذكيرِ الموتِ ، وهَولِ العاقبةِ ، وحسنِ ثوابِها .

وقيلَ : النَّصيحةُ : الدَّلالَةُ على الخيرِ والإعتقادِ .

---

(١) أخرجه الديلمي في « مسند الفردوس » كما في « الغرائب الملتقطة » لابن حجر (٢٨٩) من حديث ابن سيرين عن سيدتنا أم سلمة مرفوعاً .

(٢) أخرجه أحمد في « الزهد » (٣٠٠) ، وابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٩٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٨٢/٢) ، من طريق مالك بن دينار .

الباب الحادي والعشرون

في الاعتبار

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾[1] ؛ أيْ : أصحابَ البَصيرةِ ؛ وهي العَقلُ والفِكرُ .

وقيلَ : المُعتَبِرُ : هو الَّذي يَرىٰ نفسَهُ أَحقَرَ النَّاسِ ، ولا يَنظُرُ إلىٰ مَنْ هو فَوقَهُ في الدُّنيا ؛ بل يَنظُرُ إلىٰ مَنْ هو فوقَهُ في الدِّينِ ؛ فيَقتَدِي بهِ .

وقيلَ : المُعتَبِرُ : هو الَّذي اعتبرَ بمَنْ مضَىٰ قبلَهُ مِنَ الآباءِ والإخوانِ وغيرِهِم ؛ فإنَّهُ يَصيرُ مِثلَهُم .

وقالَ أهلُ التَّحقِيقِ مِنَ العلماءِ : الِاعتبارُ بنتائجِ الدَّهرِ يُنبِتُ في القلبِ المعرفةَ ، وعجائبَ المنطقِ الَّتي يَرضَىٰ بها الحُكماءُ ، ويَتعجَّبُ منها الفُقهاءُ ، ويُسرِعُ إليها الأُدباءُ ؛ وهو أنْ يَرى الإنسانُ أنَّ الدُّنيا خُلِقَت للفَناءِ ، والعالَمِينَ فيها للمَوتِ ، وعُمرانَها للخَرابِ .

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ سُكُوتُهُ تَفَكُّراً ، وَنُطْقُهُ تَذَكُّراً ، وَنَظَرُهُ تَعَبُّراً »[2] .

وحُكِيَ أنَّ شقيقاً البَلخِيَّ رحمةُ اللهِ عليه دخَلَ مَقبَرةً ؛ فجَعَلَ يَضرِبُ على القُبورِ ويقولُ : يا كذَّابونَ .

---

(١) سورة الحشر : (٢) .

(٢) لم أقف عليه مرفوعاً في شيء من دواوين السنة المعتمدة .
وأخرجه أبو الفرج الأصفهاني في « مقاتل الطالبيين » (ص ٢٩٠) ، من قول الحجاج بن بصير الفساطيطي ، بنحوه .
ونسبه أبو سعد الآبي في « نثر الدر » (٢٥٩/١) ، والعمري في « مسالك الأبصار » (٣٢/٢٤) لإبراهيم بن عبد الله بن حسن ، بمعناه .

فقيلَ لهُ : لِما تقولُ هٰكذا ؟ قالَ : فإنَّهم كانُوا يقولونَ في حالِ حياتِهم : أموالُنا ومَواشِينَا ؛ فذَهبُوا وخَلَّوهَا ، فاليومَ هي في يدِ غيرِهِم ، فما هم إلَّا كذَّابونَ .

الباب الثاني والعشرون

في المحبة

المحبَّةُ : شِدَّةُ مَيلِ القلبِ إلى الشَّيءِ .

وطريقُ حُصولِ المحبَّةِ : هو تَزكيةُ النَّفسِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[1] .

قيل : تَزكِيةُ النَّفسِ تُجلِّي مِرآةَ القلبِ ، ويَنعكِسُ فيها نورُ العَظَمَةِ الإلٰهيَّةِ ، ويَلوحُ فيها جمالُ التَّوحيدِ ، وتَنجَذِبُ أحداقُ البصيرةِ إلىٰ مُطالَعةِ أنوارِ الجَلالِ القَديمِ .

فحينئذٍ يُحِبُّ العبدُ ربَّهُ لا مَحالةَ .

قالَ أهلُ التَّحقيقِ : المحبَّةُ رُكنٌ مِنْ أركانِ التَّوحيدِ ، وشرطٌ مِن شرائطِ الإيمانِ ، ثمَّ بالمحبَّةِ تَصِحُّ المعرفةُ باللهِ تعالىٰ ؛ لأنَّ أصلَ الإيمانِ مَعرِفَةُ اللهِ تعالىٰ بصِفاتِهِ ، فإذا عرَفَهُ المرءُ بالإحسانِ إليهِ . . أحبَّهُ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ جَبَلَ القُلوبَ علىٰ محبَّةِ مَنْ أحسنَ إليها[2] .

---

(١) سورة الشمس : (٩ ـ ١٠) .

(٢) كذا عادةُ اللهِ في خَلقِه ، وهو أمرٌ غايةٌ في بابِه ، وقيل : الإحسانُ يقطعُ اللِّسانَ ، وهٰذا أمرٌ محسوسٌ ملموسٌ ، وإجماعٌ لم يُنصَّ عليه ؛ فإنَّه يقطعُ الشَّرَّ الدَّاهمَ علىٰ صاحبِه ، قال أبو الفتحِ البُستيُّ في منظومتِه الرَّائقةِ « عنوان الحِكَم » : (من البسط)

أحسِن إلى النَّاسِ تَستعبِد قلوبَهُم ... فطالَما استَعبدَ الإنسانَ إحسانُ

وكن على الخيرِ مِعواناً لذي أملٍ ... يرجو نَداك فإنَّ الحرَّ مِعوانُ

مَن كانَ للخيرِ مِنَّاعاً فليس له ... على الحقيقةِ إخوانٌ وخِلَّانُ

مَن جادَ بالمالِ مالَ النَّاسُ قاطبةً ... إليه والمالُ للإنسانِ فتَّانُ

وهو معنىٰ قولِ اللهِ تعالىٰ : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمٰن : ٦٠] .

وعلَامةُ المحبِّ : طاعةُ المحبوبِ وإرضاؤهُ ، ومَنْ أحبَّ شيئاً . . أكثَرَ مِنْ ذكرِهِ ولا يَنساهُ .

وقالَ عليهِ السَّلامُ : « جُبِلَتِ ٱلْقُلُوبُ عَلَىٰ مَحَبَّةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا ، وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا »[1] .

---

(١) أخرجه ابن الأعرابي في « المعجم » (١٩١) ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (ص ٢٤٣) ، وأبو الشيخ الأصبهاني في « الأمثال » (١٦٠) ، والقُضاعي في « مسند الشهاب » (٥٩٩) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٢/٥٢٠) ، من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، بنحوه .

الباب الثالث والعشرون

في الشّوق

الشَّوقُ : هَيَجانُ القلبِ عند ذِكرِ المحبوبِ ، وهو يَتولَّدُ مِن حقيقةِ المحبَّةِ ؛ لأنَّ مَن أحبَّ اللهَ . . اشتاقَ إلىٰ لقائِه ألبتَّةَ ، قال اللهُ تعالىٰ : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ﴾[1] .

وقيلَ : قلوبُ المُشتاقِينَ مُنوَّرةٌ بنورِ اللهِ تعالىٰ ؛ فإذا تحرَّك الإشتياقُ . . أضاءَ النُّورُ ما بينَ الأرضِ والسَّماءِ ، فحينئذٍ يَعرِضُ اللهُ تعالى المشتاقِينَ على الملائكةِ ، فيقولُ : يا ملائكتِي ؛ هٰؤلاءِ المشتاقونَ إلىٰ لقائِي ، اشهَدوا أنِّي قد غَفَرتُ لهُم ، وأنِّي لأشَدُّ شَوقاً إليهِم مِنْ شَوقِهِم إليَّ[2] .

قالَ الشِّبليُّ رحمةُ اللهِ عليه : (نارُ المحبَّةِ تُذِيبُ الأرواحَ ، ونارُ الهَيبَةِ تُذِيبُ القُلوبَ ، ونارُ الشَّوقِ تُذِيبُ النَّفسَ) .

وقيلَ : الشَّوقُ إلى اللهِ تعالىٰ يَقطَعُ صاحبَهُ عنِ الخلقِ ، ويُوصِلُهُ إلى الحقِّ ، وقَدْرُ الشَّوقِ علىٰ قَدْرِ المحبَّةِ .

قالَ أبو عليٍّ الدَّقَّاقُ رحمةُ اللهِ عليه : (الشَّوقُ يَسكُنُ باللِّقاءِ والرُّؤيةِ ، والإشتياقُ لا يزولُ باللِّقاءِ والرُّؤيةِ)[3] .

---

(١) سورة العنكبوت : (٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/١٩٣) ، من طريق سهل التستري ، بنحوه .

(٣) أخرجه القشيري في « الرسالة » : (ص ٦٦٤) .

الباب الرابع والعشرون

في العشق

العِشقُ : جُنونٌ إلـهيٌّ لا يَقبَلُ المدحَ والذَّمَّ ، وهو آخِرُ مَراتِبِ المحبَّةِ .

والمحبَّةُ : أوَّلُ دَرَجاتِ العِشقِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ في حقِّ العاشِقينَ : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[1] ؛ لعِشقِهِمُ اللهَ تعالىٰ .

وقيلَ : العِشقُ داءٌ ودواءٌ ؛ فإنْ أصابَ الرُّوحَ . . فهو داءٌ ؛ وإنْ أصابَ القلبَ . . فهو دواءٌ .

وحقيقةُ العِشقِ : أنْ يَصِلَ حُبُّ الحبيبِ إلىٰ سُوَيداءِ قَلبِ المُحِبِّ ، وهٰذا كنايةٌ عنِ الحُبِّ الشَّديدِ ، ويُسمَّىٰ شغَفاً ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ في حقِّ زُليخا : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ أيْ : دخلَ حُبُّ يوسُفَ في جِلدِ صَدرِها ؛ حتَّىٰ أصابَ قلبَها وأضلَّ عَقلَها ؛ ولذٰلكَ قالوا : ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2] ؛ أيْ : في عِشقٍ ظاهرٍ ، ضلَّ فيه عَقلُها بصَمتِها ، ولـمْ يبقَ لها قُدرةٌ على الكِتمانِ مِنْ غايةِ العِشقِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ عَشِقَ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ وَكَتَمَ فَمَاتَ . . مَاتَ شَهِيداً »[3] .

ورُوِيَ عنِ السَّرِيِّ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) سورة النور : (٣٧) .

(٢) سورة يوسف : (٣٠) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ مدينة السلام » (٥٥٤/٦) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٧٧١/٢) ، من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، بلفظ : « مَنْ عَشِقَ وَكَتَمَ وَعَفَّ ثُمَّ مَاتَ . . مَاتَ شَهِيداً » .

وسلَّم : « قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ : إِذَا كَانَ ٱلْغَالِبُ عَلَىٰ عَبْدِي ذِكْري . . عَشِقَنِي وَعَشِقْتُهُ »[1]

(١) أخرجه القشيري في « الرسالة » : (ص ٥٠٤) ، من طريق السري يقول : مكتوب في بعض الكتب الَّتي أنزل الله تعالىٰ : إذا كان الغالب علىٰ عبدي ذكري . . عشقني وعشقته .
وأخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/١٦٥) من مراسيل الحسن البصري قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ : إِذَا كَانَ الْغَالِبُ عَلَىٰ عَبْدِي الِاشْتِغَالَ بِي . . جَعَلْتُ نَعِيمَهُ وَلَذَّتَهُ فِي ذِكْرِي ، فَإِذَا جَعَلْتُ نَعِيمَهُ وَلَذَّتَهُ فِي ذِكْرِي . . عَشِقَنِي وَعَشِقْتُهُ ، فَإِذَا عَشِقَنِي وَعَشِقْتُهُ . . رَفَعْتُ الْحِجَابَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ . . . » .

الباب الخامس والعشرون

في القرب

القُرْبُ : اتِّصالُ الهِمَّةِ إلى اللهِ تعالىٰ بِلَا كيفٍ ولا وَصفٍ في كلِّ حالٍ ، وذٰلكَ يَحصُلُ بالمواظَبةِ على النَّوافلِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ لنَبِيِّه محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ (١)

وقيلَ : حُصولُ المحبَّةِ للهِ تعالىٰ تَحصُلُ باتِّباعِ سُنَّةِ رسولِ اللهِ ، وحُصولُ المعرفَةِ باللهِ تعالىٰ تَحصُلُ بأداءِ الفرائضِ .

وقيلَ : أقربُ الخلقِ إلى اللهِ تعالىٰ أسرَعُهُم إليهِ رُجوعاً .

وقيلَ : القُرْبُ : هو الِانقطاعُ عن كلِّ شيءٍ سِوى اللهِ تعالىٰ .

وعن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أنَّهُ قالَ : « أَوْحَى ٱللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ مُوسَىٰ : إِنَّكَ لَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ أَحبَّ إِلَيَّ مِنَ ٱلرِّضَاءِ بِقَضَائِي ، وَلَنْ تَعْمَلَ عَمَلاً أَحْبَطَ حَسَنَاتِكَ أَشَدَّ مِنَ ٱلْكِبْرِ » (٢) .

وعن ذِي النُّونِ المِصريِّ رحمةُ اللهِ عليه أنَّهُ قالَ : رأيتُ أعرابيّاً يطوفُ بالكعبةِ ، قدْ نَحَلَ جِسمُهُ ، واصفَرَّ لونُهُ ، ودقَّ عَظمُهُ ، فقلتُ : أمُحِبٌّ أنتَ ؟ قالَ : نعمْ ، فقلتُ : أحبِيبُكَ منكَ قريبٌ أمْ بعيدٌ ؟ قالَ : قريبٌ ، قلتُ : أمُوافِقٌ أو غيرُ مُوافِقٍ ؟ قالَ : مُوافِقٌ ، قلتُ : سبحانَ اللهِ ! حبيبُكَ قريبٌ ومُوافِقٌ وأنت بهٰذه الحالةِ ؟! قالَ : يا بَطَّالُ ؛ أمَا علِمتَ أنَّ عذابَ القُرْبِ والموافَقَةِ أشدُّ مِنْ عذابِ البُعدِ والمخالَفَةِ ؟!

---

(١) سورة العلق : (١٩) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » : (٥/٤٥) ، من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، مرفوعاً ، واستغربه .

الباب السادس والعشرون

في المواصلة

المواصَلةُ : ارتفاعُ الحُجُبِ عن وجهِ الرُّوحِ ؛ ليُشاهِدَ الرَّبَّ تعالىٰ بلا كيفٍ ، قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَأَيْتُ رَبِّي بِقَلْبِي ، وَمَا رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي »[1]

قال اللهُ تعالىٰ : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾[2] ، وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[3] .

وقيلَ في التَّفسيرِ : قالَ اللهُ تعالىٰ لنَبيِّه محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ : يا محمَّدُ ؛ كُنْ مِنَ النَّاسِ آيِساً ؛ فليسَ في أيدِيهِم شيءٌ مِنَ الأشياءِ ، واجعلْ صُحبتَكَ معي ؛ فإنَّ مَرجِعَك إليَّ ، ولا تَجعَل قلبَكَ مُعلَّقاً بالدُّنيا ؛ فإنِّي ما خلقتُكَ لها[4] .

وقيل : الواصِلُ إلى اللهِ تعالىٰ مَن كانَ هِمَّتُه الوصولَ إلى اللهِ ، وشُغْلُه للهِ ، ورُجوعُهُ إلى اللهِ تعالىٰ ؛ فذٰلكَ تَبكِي عيناهُ ، ويَضحَكُ قلبُهُ .

وعلامةُ الواصلِ إلى اللهِ تعالىٰ : تركُ النَّفسِ وإرادتِها .

قالَ يحيَى بنُ مُعاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ : قلوبُ العارفينَ قناديلُ الحِكمةِ ، وفَتائِلُها الزُّهدُ ، وسُرُجُها اليقينُ ، ودُهنُها المحبَّةُ ، وشُعاعُها نورُ الملكوتِ .

---

(١) لم أقف عليه بهٰذا اللفظ ، وأخرج مسلم (١٧٦) من طريق سيدنا ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : (رآه بقلبه) .

(٢) سورة النجم : (١١) .

(٣) سورة النجم : (١٠) .

(٤) ذكره إسماعيل حقي في تفسيره « روح البيان » : (١٨١/٩) .

وقالَ الحكيمُ : المواصَلةُ : هي الملازَمةُ على العُبوديَّةِ ، مع انقطاعِ القلبِ عمَّا سِوى اللهِ تعالىٰ ؛ وهو التَّقرُّبُ إليهِ بالعبوديَّةِ .

والثَّاني : الِاتِّصالُ إلى العلماءِ والفُقراءِ الصَّالحينَ ، والِاتِّضاعُ والتَّذلُّلُ لديهِم ؛ لأنَّهُم سببُ الِاتِّصالِ إلى اللهِ تعالىٰ .

الباب السابع والعشرون

في التوكّل

التَّوكُّلُ : الإكتفاءُ باللهِ ، والإعتمادُ على اللهِ في جميعِ الأمورِ ، قال اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[1] ، وقال اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2]

وقال سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : التَّوكُّلُ هو ألَّا تسألَ ، ولا تَرُدَّ ، ولا تَحبِسَ .

قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : « مَنْ أَسَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ ٱلنَّاسِ . . فَلْيَتَّقِ ٱللهَ فِي السِّرِّ وَٱلْعَلَانِيَةِ ، وَمَنْ أَسَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى ٱلنَّاسِ . . فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ ٱللهِ تَعَالَىٰ أَوْثَقَ مِمَّا فِي يَدِهِ »[3] .

ورُوِيَ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سَأَلْتُ جَبْرَائِيلَ عَنِ ٱلتَّوَكُّلِ ؟ قَالَ : ٱلْيَأْسُ عَنِ ٱلْخَلْقِ »[4] .

وهو أن تَعلَمَ أنَّ المخلوقَ لا يَضُرُّ ولا يَنفَعُ ، ولا يُعطِي ولا يمنعُ .

وحُكِيَ أنَّ عابداً رأىٰ عابداً في المَنامِ يَمشِي في رياضِ الجنَّةِ حَزيناً ؛ فسألَهُ عنِ حُزنِهِ فقالَ : رأيتُ دَرَجاتٍ في عِلِّيِّينَ ؛ فقَصَدتُ الصُّعودَ إليها ، فمُنِعتُ ؛

---

(١) سورة الفرقان : (٥٨) .

(٢) سورة المائدة : (٢٣) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٥) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) لم أقف عليه ، وفي كتاب « التوكل » لابن الفراء (ص ٨٣) عن أحمد ابن حنبل وسئل عن التوكل . فقال : هو قطع الاستشراف بالإياس من الخلق . فقلت : ما الحُجَّة ؟ فقال : الخليل إبراهيم عليه السلام لما وضع في المنجنيق ، ثم طرح إلى النار ، فاعترض جبريل . فقال : إبراهيم ؛ لك حاجة ؟ فقال : أما إليك . . فلا ، قال : فقال له : سَلْ من لك إليه حاجة ؟ فقال : أحبُّ الأمرين إليه أحبُّهما إليَّ .

فسألتُ عن هٰذه الدَّرَجاتِ ؟ فقيلَ لي : هي للمُتوكِّلِينَ على اللهِ تعالىٰ ، وهيَ درجاتُ العُلا .

الباب الثامن والعشرون

في الفقر

الفقرُ : اختيارُ العَدَمِ على اغتناءِ النِّعمِ .

وقيلَ : الفقرُ : الرِّضاءُ بما قُضِيَ لهُ مع طِيبِ القلبِ .

وقيل : الفقرُ : الأُنسُ بالمعدومِ والوَحشةُ مِنَ المعلومِ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[1] ، أي : الَّذي لا يَنقُصُ مِنَ غَنائِه شيءٌ بإنفاقٍ ، ﴿ ٱلْحَمِيدُ ﴾ أي : المحمودُ في صُنعِهِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لِكُلِّ شَيْءٍ مِفتاحٌ ، وَمِفْتَاحُ ٱلْجَنَّةِ حُبُّ ٱلْمَسَاكِينِ »[2]

وقالَ عليهِ السَّلامُ : « ٱلْفُقَرَاءُ ٱلصَّابِرُونَ هُمْ جُلَسَاءُ ٱللهِ تَعَالَىٰ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[3] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا مَعْشَرَ ٱلْفُقَرَاءِ ؛ إِنَّ فُقَرَاءَ ٱلْمُسْلِمِينَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ قَبْلَ ٱلْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَومٍ ؛ وَهُوَ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ »[4] .

---

(١) سورة فاطر : (١٥) .

(٢) أخرجه ابن المقرئ في « المعجم » (٨٣٨) ، وأبو الحسن الأزدي في « حديث مالك بن أنس » (٦٩) ، وابن عدي في « الكامل » (٦٢٠/٩) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٧١) ، من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) هو جزء من الحديث السابق .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٥٣) ، وابن ماجه (٤١٢٢) من حديث سيدنا أبي هريرة ، وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٤٧٧) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهم .

وقيلَ : سُئِلَ الجُنيدُ عنِ الفَقرِ ؟ فقالَ : الفقيرُ هو الَّذي لا يَحزَنُ للذَّمِ ، ولا يَفرَحُ للمَدحِ .

وسُئلَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ عنِ الفَقرِ ، فقالَ : الفقيرُ هو الَّذي إذا أُعطِيَ . . شَكَرَ ، وإذا مُنِعَ . . صبرَ .

وسُئِلَ سلطانُ بايزيدَ عنِ الفقرِ ، فقالَ : الفقيرُ هو الَّذي إذا مُنِعَ . . صَبَرَ ، وإذا أُعطِيَ . . آثَرَ .

وسُئلَ السَّيِّدُ أحمدُ الكبيرُ عنِ الفقرِ ، فقالَ : الفقيرُ هو الَّذي يَحمِلُ الأذَىٰ ، ويتركُ الأذَىٰ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَادَ ٱلْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً »[1] .

و« ٱلْفَقْرُ سَوَادُ ٱلْوَجْهِ فِي ٱلدَّارَيْنِ »[2] .

و« ٱلْفَقْرُ فَخْرِي ، وَبِهِ أَفْتَخِرُ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلْأَنْبِيَاءِ »[3] .

أمَّا قولُه : « كَادَ ٱلْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً » . . فهو الِافتقارُ إلى الخلقِ دونَ الحقِّ .

وأمَّا قولُهُ : « ٱلْفَقْرُ سَوَادُ ٱلْوَجْهِ فِي ٱلدَّارَيْنِ » . . فهو الِافتقارُ إلى اللهِ وإلى الخلقِ .

وأمَّا قولُه : « ٱلْفَقْرُ فَخْرِي ، وَبِهِ أَفْتَخِرُ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلْأَنْبِيَاءِ » . . فهو الافتقارُ إلى اللهِ تعالىٰ دون الخلقِ .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الدعاء » (١٠٤٨) من حديث سيدنا عمر رضي الله عنه ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٤٤٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥٣/٣) من حديث سيدنا أنس .

(٢) أورده العجلوني في « كشف الخفاء » (٨٧/٢) ؛ وقال : (قال الصغاني : موضوع) .

(٣) أورده ابن المُلقِّن كما في « خلاصة البدر المنير » (١٦١/٢) .

الباب التاسع والعشرون

في اللباس

اللِّباسُ لباسانِ : لباسُ الظَّاهرِ ، ولباسُ الباطنِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ (١)

أمَّا لباسُ الظَّاهرِ : فهو نوعانِ : ضَروريٌّ وغيرُ ضروريٍّ .

فالضَّروريُّ : هو ما يَستُرُ العورةَ ، ويَدفَعُ الحرَّ والبردَ .

وغيرُ الضَّروريِّ : هو للتَّجمُّلِ والتَّزيُّنِ بينَ النَّاسِ ؛ لإظهارِ نعمةِ اللهِ تعالىٰ ، لا للتَّفاخُرِ والتَّكبُّرِ .

وأمَّا لباسُ الباطنِ : فهو أيضاً نوعانِ : ضروريٌّ وغيرُ ضروريٍّ .

أمَّا الضَّروريُّ : فهو الورَعُ وخَشيةُ اللهِ تعالىٰ ، والتَّضرُّعُ إليهِ ، والتَّمسُّكُ بأوامرِهِ ، والاجتنابُ عن نواهيهِ ؛ لأنَّهُ يَستُرُ عيوبَ الدُّنيا والآخرةِ .

وأمَّا غيرُ الضَّروريِّ : فهو مَكارِمُ الأخلاقِ ؛ مِثلُ النَّوافلِ في الطَّاعاتِ ، والإصلاحِ بينَ النَّاسِ ، والعفوِ عنهُم ، والدَّلالةِ على الخيرِ .

---

(١) سورة الأعراف : (٢٦) .

فصل

[في تخصيصِ أنواعِ الثيابِ]

فأهلُ اللهِ أرادوا أنْ يجمَعوا بينَ اللِّباسَينِ : لباسِ الظَّاهرِ ، ولباسِ الباطنِ ؛ ليُثابوا مِنَ الطَّرَفَينِ .

وقدْ رُوِيَ[1] أنَّ لُبسَ الخَشِنِ مِنَ الثِّيابِ زِيُّ الفُقراءِ الصَّالحينَ مِنَ الأصحابِ والتَّابعينَ .

والأفضلُ عندَ المشايخِ الكبارِ : لُبسُ الأسودِ ؛ لأنَّهُ أنسَبُ لكسرِ النَّفسِ وتَهذِيبِ الأخلاقِ .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم لفَّ علىٰ رأسِهِ عمامةً سوداءَ يومَ فتحِ مكَّةَ[2] .

ومِنَ السُّنَّةِ : لُبسُ المرقَّعِ والخَشِنِ مِنَ الثِّيابِ[3] .

---

(١) يشهد له ما أخرجه الرَّامَهُرْمُزي في « الأمثال » (ص ٢٥٦) ، من حديث ابن الأدرع قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَمَعْدَدُوا ، وَاخْشَوْشِنُوا ، وَانْشُوا حُفَاةً » . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ هو الرامهرمزي رَحِمَهُ اللهُ : (الْمَعْنَى : اقْتَدُوا بِمَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ ، وَالْبَسُوا الْخَشِنَ مِنَ الثِّيَابِ ، وَامْشُوا حُفَاةً ، وَهُوَ حَثٌّ عَلَى التَّوَاضُعِ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْإِفْرَاطِ فِي التَّرَفُّهِ وَالنِّعْمَةِ) .

(٢) أخرجه مسلم (١٣٥٨) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٣) يشهد لهذا المعنىٰ حديث : « البذاذة من الإيمان » ؛ يعني : التَّقشُّف ، أخرجه أبو داوود (٤١٦١) ، وابن ماجه (٤١١٨) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

وهناك أحاديث تحث علىٰ إظهار نعمة الله على العبد ، بما يؤكد أن مثل هذه النصوص لا بد أن تفهم في ضوء بعضها البعض ، وإلا . . خرج الإنسان عن حدِّ التوسط والاعتدال ؛ أخرج أبو الشيخ الأصبهاني (٣٢٩) من طريق حَمَّاد بْنِ زَيْدٍ ، حدثنا جَلِيسٌ لِأَيُّوبَ ، قَالَ : دَخَلَ انْصَلْتُ بْنُ زَابِدٍ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ وَعَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ ، وَإِزَارُ صُوفٍ ، وَعِمَامَةُ صُوفٍ ، فَاشْمَأَزَّ مِنْهُ مُحَمَّدٌ ، وَقَالَ : أَظُنُّ أَنَّ أَقْوَاماً يَلْبَسُونَ الصُّوفَ يَقُولُونَ : قَدْ لَبِسَهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ لَبِسَ الْكَتَّانَ وَالْقُطْنَ وَالْيَمَنَةَ ، وَسُنَّةُ نَبِيِّنَا أَحَقُّ أَنْ تُتَّبَعَ .

وأوَّلُ مَنْ لَبِسَ المرقَّعَ عيسىٰ عليهِ السَّلامُ[1] .

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه قال : « مَن رَقَّ ثوبُهُ . . رَقَّ دِينُهُ »[2] .

ولُبسُ الصُّوفِ والشَّعَرِ سُنَّةُ الأنبياءِ عليهِمُ السَّلامُ ، وأوَّلُ مَنْ لَبِسَ الشَّعَرَ موسىٰ عليهِ السَّلام[3] .

ولُبسُ العَبا مستَحبٌّ ، وأوَّلُ مَن لَبِسَها سليمانُ بنُ داوودَ عليهِ السَّلامُ ؛ تَشبُّهاً بالمساكينِ[4] .

وقالَ عليهِ السَّلامُ : « نَوِّرُوا قُلُوبَكُمْ بِلُبْسِ ٱلصُّوفِ ؛ فَإِنَّه مَذَلَّةٌ فِي ٱلدُّنْيَا ، وعِزٌّ في الآخرةِ »[5] .

والمرادُ مِنْ لُبسِ السَّوادِ والخَشِنِ مِنَ الثِّيابِ : التَّواضُعُ ، وكسرُ النَّفسِ ، وتَهذيبُ الأخلاقِ ؛ لا لجمعِ الدُّنيا ، وإلَّا . . لا فائدةَ في لُبسِها غيرُ دَفعِ الحرِّ والبردِ فقطْ .

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٤٠٨) من طريق عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، قَالَ : كَانَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَلْبَسُ الشَّعْرَ . وأخرج أيضاً (٣٦٨٧١) من طريق خَيْثَمَةَ ، قَالَ : كَانَ عِيسَىٰ يَلْبَسُ الصُّوفَ ، وَكَانَ يَحْيَىٰ يَلْبَسُ الْوَبَرَ .

أما أوَّليَّة لبسه للمرقع . . فلم أقف عليه ، وقد استنبط ابن عجيبة في « البحر المديد » (٢٠٦/٢) من قوله تعالىٰ : ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أن أول من لبس المرقع آدم عليه السلام .

(٢) أخرجه النسفي في « القند في ذكر أخبار سمرقند » (ص ١٩١) ، من حديث سيدنا أنسٍ ، بلفظ : « اغد عالماً أو متعلماً ، ولا تكن ثالثاً فتهلك ، الناس رجلان : عالم ومتعلم ، ولا خير في الناس من سواهم ، من رقَّ وجهه . . رقَّ علمه ، ومن رقَّ ثوبه . . رقَّ دينه » .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) لم أقف عليه إلا في بعض المصادر المتأخرة ؛ كـ « الدرر المباحة في الحظر والإباحة » (ص ٢٠) .

(٥) لم أقف عليه في شيء من دواوين السنة المعتمدة ، وأورده المؤلِّف في « عوارف المعارف » (٣٤١/١) .

الباب الثلاثون

في فضل النبيّ ومعجزاته عليه السّلام

أمَّا فضلُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : فإنَّ كلَّ نبيٍّ أرسلَهُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ طائفةٍ مِنْ طوائفِ بني آدمَ ، ومحمَّدٌ عليهِ أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ أرسلَهُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ كافَّةِ الإنسِ والجِنِّ ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[1] ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾[2] .

وقيلَ : كلُّ نبيٍّ كانَ رحمةً لقومٍ ، ومحمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أرسَلَهُ اللهُ تعالىٰ رحمةً للعالمينَ ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] ، فإرسالُ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ رَحمةً مِنْ عندِ اللهِ تعالىٰ لعبادِهِ ؛ ليُخرِجَهُم مِنْ ظُلَمِ الضَّلالَةِ إلىٰ نُورِ الهدايةِ .

وقالَ عليهِ السَّلامُ : « بُعِثْتُ لِلْأَحْمَرِ وَٱلْأَسْوَدِ »[4] .

و« آدَمُ ومَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ ٱلْأَرْضُ عَنْهُ »[5] .

و« أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ ٱلْجِنَانِ »[6] .

---

(١) سورة سبأ : (٢٨) .

(٢) سورة الأحقاف : (٢٩) .

(٣) سورة الأنبياء : (١٠٧) .

(٤) أخرجه مسلم (٥٢١) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه ، بلفظ : « بُعِثْتُ إِلَىٰ كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ » .

(٥) أخرجه الترمذي (٣٦١٥) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٦) أخرجه أبو يعلىٰ في « المسند » (٦٦٥١) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، بلفظ : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ » . ←

و« أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَتَجَلَّىٰ لَهُ ٱلرَّبُّ تَعَالَىٰ »[1]

ورُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، أَنَّهُ قالَ : أَوحَى اللهُ تعالىٰ إلىٰ عيسى ابنِ مريمَ عليهِ السَّلامُ : أَنْ آمِن بمحمَّدٍ عليهِ السَّلامُ ، وأْمُرْ أمَّتك أنْ يُؤمِنوا بمحمَّدٍ أيضاً ، فَوَعِزَّتي وجَلَالي ؛ لولَا محمَّدٌ . . لَما خَلقتُ آدَمَ وذُرِّيَّتَهُ ، ولولَا محمَّدٌ . . لَما خَلقْتُ الجنَّةَ والنَّارَ ، والسَّماءَ والأرضَ ، والعرشَ والكُرسيَّ ، وجميعَ مَخلوقاتِي[2] .

فعندَ ذٰلكَ قالَ عيسىٰ عليهِ السَّلامُ : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ ﴾[3]

وأمَّا معجزاتُه : فمِنْ بعضِ مُعجزاتِهِ أَنَّهُ وُلِدَ ومَعَهُ عَشرُ مُعجزاتٍ :

الأوَّلُ : أَنَّهُ وُلِدَ مَختوناً[4]

والثَّانيةُ : أَنَّهُ لَمْ يُرَ لهُ بَولٌ ولا غائطٌ[5] .

والثَّالثةُ : أَنَّهُ لَمْ يقَعْ لهُ ظِلٌّ على الأرضِ[6] .

← وأخرج مسلم (١٩٧) من حديث سيدنا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ » .

(١) أخرجه ابن حِبَّان في « الصحيح » (٦٤٨٠) ضمن حديث سيدنا أنسٍ رضي الله عنه في الشفاعة ، وفيه : « فَيَتَجَلَّى لَهُ الرَّبُّ ، وَلَا يَتَجَلَّى لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ » .

(٢) أخرجه الخَلَّال في « السُّنَّة » (٣١٦) ، والحاكم في « المستدرك » (٦١٤/٢) .

(٣) سورة الصف : (٦) .

(٤) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (١١٤/١) ، وقال الحاكم في « المستدرك » (٦٠١/٢) : (قد تواترت الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مختوناً مسروراً) .

(٥) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٧٠/٦) ، من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وقال القاضي عياض في « الشفا » (١٥٤/١ ـ ١٥٥) : (وَقَدْ حَكَىٰ بَعْضُ الْمُعْتَنِينَ بِأَخْبَارِهِ وَشَمَائِلِهِ : أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَغَوَّطَ . . انْشَقَّتِ الأرض فابتلعت غائطه وبوله ، وفاحت لِذَٰلِكَ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ) .

(٦) قال ابن المُلقِّن في « غاية السول في خصائص الرسول » (ص ٢٩٧) : (كَانَ إذا مَشىٰ في الشَّمسِ ←

والرَّابعةُ : كان يَرىٰ ما وراءَهُ كما يَرىٰ ما قُدَّامَهُ[1]

والخامسةُ : كانَ يَرىٰ في الظَّلامِ كما يَرىٰ في النُّورِ[2]

والسَّادسةُ : كانَ إذا مَشىٰ على الرَّملِ أو على التُّرابِ . . لا يُرىٰ لهُ أثرٌ[3] .

والسَّابعةُ : كانَ إذا مَشىٰ على الصُّخورِ . . غاصَت قَدَماهُ فيها ، وبَقِي لهما علامةٌ[4] .

والثَّامنةُ : ما نَزَلَ عليهِ ذُبابٌ ، ولا قَمْلٌ ، ولا شيءٌ مِنَ الحشَراتِ[5]

والتَّاسعةُ : أنَّهُ لَمْ يَحتَلِمْ في عُمُرِهِ قطُّ[6]

أو القَمَرِ . . لا يظهر لَهُ ظل ، وَيشْهد لَهُ أنه عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام سَأَلَ الله تَعَالَىٰ أن يَجْعَل فِي جَمِيع أعقابه وجهاته نوراً ، وختم ذَٰلِك بقوله : « واجعلني نوراً ») .

(١) أخرجه البخاري (٧٤١) ومسلم (٤٢٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » : (٧٥/٦) ، من حديث سيدنا ابن عبَّاس رضي الله عنهما .

(٣) قال الحلبي في « سيرته » (١٧٩/١) : (رأيت الإمام السبكي ذكر تأثير قدمه الشريف في الأحجار حيث قال في « تائيته » : [من الطويل]

وأثَّرَ في الأحجارِ مشيكَ ثمَّ لَمْ ... يؤثِّر برملٍ أو ببطحاءِ رَطْبةِ

قال شارحها : ولعل عدم تأثير قدمه الشريف في الرمل كان ليلة ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى الغار) .

(٤) قال الصالحي في « سبل الهدىٰ والرشاد » (٧٩/٢) : (ذكر كثير من المُدَّاح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا مشىٰ على الصخر . . غاصت قدماه فيه ، ولا وجود لذٰلك في كتب الحديث البتَّة . . .) .

وقال الحلبي في « سيرته » (١٧٩/١) : (ذكر بعضهم : أن نبينا صلى الله عليه وسلم أثَّر قدمه في الحجر أيضاً ؛ فقد أثَّر في صخرةٍ بيت المَقْدِس ليلة الإسراء ، وإن ذٰلك الأثر موجودٌ إلى الآن) .

(٥) قال السيوطي في « الخصائص الكبرىٰ » (١١٧/١) : (ذَكَر القاضي عياض في « الشفا » ، والعزفي في « مولده » : أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا ينزل عليه الذباب ، وذكره ابن سبع في « الخصائص » بلفظ : أنه لم يقع علىٰ ثيابه ذباب قط ، وزاد : أن من خصائصه أن القمل لم يكن يؤذيه) .

(٦) أخرج الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٥٠٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٢٥/١١) (١١٥٦٤) من طرق عن سيدنا ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : (مَا احْتَلَمَ نَبِيٌّ قَطُّ ، وَإِنَّمَا الاحْتِلامُ مِنَ الشَّيْطَانِ) .

والعاشرةُ : أنَّهُ كانَ إذا عَزَمَ إلىٰ بيتٍ أو مكانٍ . . يَسبِقُهُ نورُهُ إلىٰ ذٰلكَ البيتِ وإلىٰ ذٰلكَ المكانِ قبلَ مَجِيئِهِ ، وكانوا يَعرِفونَ مَجِيءَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِن مَجِيءِ النُّورِ .

تمَّ الكتابُ بعونِ اللهِ تعالىٰ وتوفيقِهِ (١)

← وقال ابنُ الملقِّنِ في « غايةِ السُّولِ في خصائصِ الرَّسولِ » (ص ٧٤) : (والأشهرُ امتناعُ الاحتلامِ عليهم) .

وقال ابنُ كثيرٍ في « الفُصولُ في سيرةِ الرَّسولِ » (ص ٣٠٢) : (الأظهرُ في هٰذا التَّفصيلُ ؛ وهو أن يقالَ : إن أُريدَ بالاحتلامِ فيضٌ من البدنِ . . فلا مانعَ من هٰذا ، وإن أُريدَ به ما يحصلُ من تخبُّطِ الشَّيطانِ . . فهو معصومٌ مِن ذٰلك صلَّى الله عليه وسلَّمَ) .

(١) خاتمة النسخة (ب) : (تمَّتْ بعونِ الملكِ المنَّانِ) ، وخاتمة النسخة (ج) : (بعونِ اللهِ الملك المنَّانِ ، يا الله ، يا كريمُ ، يا رحيمُ ، تمَّت) .